لغز اختفاء العمالقة

إعداد
صلاح محمد

مؤسسة دار الفرسان
للنشر والتوزيع
٥١ش ابراهيم خليل المطرية
ت : ٢٢٥١١١١٠ – موبايل : ٠١٢٢٩٨٧١٢٣٧

اسم الكتاب : لغز اختفاء العمالقة
(الاختيار الصعب)
المؤلـــــــف : صلاح محمد
الناشــــــــر : مؤسسة دار الفرسان
تصميم الغلاف: فرى برنت- ٠١٠٤٤٧٠٦٤٥
رقم الإيداع : ٨٠١٠
طبعة أولى : ٢٠١٦

فهرسة أثناء النشر

محمد ، صلاح
لغز اختفاء العمالقة (الاختيار الصعب) /إعداد صلاح محمد – القاهرة .- ط١
مؤسسة دار الفرسان للنشر والتوزيع ، ٢٠١٦
٨٠ ص ؛ ٢٤ سم
تدمك : ٧-٨٠-٦١٦٩-٩٧٧-٩٧٨
١ – الألغاز
أ- العنوان ٧٩٣,٧٩٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا)

صدق الله العظيم

طه ١١٤

مُقَدِّمَة

عزيزى القارئ هذه مجموعة قصص وألغاز تحمل بين طياتها الكثير من الإثارة والتشويق فى محاولة منا لجذب القارئ لقراءة المجموعة القصصية للوصول فى النهاية إلى حل لغز تلك القصص حيث أن مسرح الجريمة يعتبر هو المفتاح الأول لحل لغز أي جريمة ولذلك فهو يسمى بالشاهد الصامت. وهو يعتبر اللبنة الأولى والهامة لبداية التعامل مع الجريمة، فإذا صلحت الإجراءات المتخذة التي يقوم بها فاحص مسرح الجريمة صلح التحقيق في القضية بأكملها والعكس صحيح.

في هذا الكتاب ، ستقرأ عن ألغاز وأسئلة مطلوب من القارئ حلها والوصول إلى الجانى فى كل لغز ، وستطلع على بعض الطوائف السرية والأماكن العجيبة وغير ذلك من المسائل والأحداث الغريبة حول العالم ، والغاية من هذا الكتاب هي التسلية والترفيه والتفكير وإيصال معلومة مفيدة توسع من أفق القارئ الثقافي ، لذلك دأبت على وضع الاسم الأصلي لموضوع القصة ليتمكن من يريد معرفة المزيد عنها من الوصول إلى مصادر إضافية .

ألغاز بعضها سهل وبعضها يحتاج لتفكير طويل، لكنها جميعاً ستنمي ذكاءك، وتمتع عقلك .

شارك الألغاز مع أسرتك وأصدقائك، فهي تصلح للجلسات العائلية اللطيفة الخالية وتمنحك وقتاً رائعاً من التواصل مع الآخرين.

.

لغز مصاص دماء أطلس

خلال السنوات الطويلة التي أدرت فيها موقع كابوس كثيرا ما سألني القراء حول حقيقة وجود مصاص الدماء من عدمه ، وكنت أحار جوابا ، فمن جهة أجد صعوبة في تصديق وجود كائن بشري يمضي نهاره نائما في تابوت ويسعى ليله في مطاردة ضحاياه من البشر ليمتص دمائهم ، اعني الصورة النمطية لمصاص الدماء كما رسمها لنا الكاتب الايرلندي برام ستوكر في راويته الشهيرة "دراكولا" وهي الصورة التي أخذتها هوليوود وأصلتها لاحقا في أذهاننا من خلال مجموعة كبيرة من الأفلام والمسلسلات

من جهة أخرى تعد فكرة وجود كائنات ماصة أو شاربة للدم أقدم بكثير من مصاصي دماء هوليوود ، حيث توجد أساطير في فلكلور وتراث مختلف الشعوب تتحدث عن وجود كائنات أو وحوش أو شياطين ماصة الدم ، وقد حاول البعض تفسير هذا الفلكلور الدموي الضارب في القدم من خلال عدة نظريات وفرضيات لعل أشهرها هي نظرية مرض البورفيريا التي أصبحت الحجة الرئيسية في جعبة منكري وجود مصاص الدماء ، على أساس أن مريض البورفيريا يحدث لديه تحسس شديد من ضوء الشمس فيحاول تجنب الخروج نهارا ، تماما كمصاص الدماء الذي نشاهده في الأفلام السينمائية والذي يتجنب ضوء الشمس بشدة . لكن من الناحية العلمية يبدو التشابه بين مريض البروفيريا ومصاص الدماء ضئيلا أو يكاد يكون معدوما ، فمريض البورفيريا لا يمتص الدماء ولا يفيده مص أو شرب الدماء بشيء ، أما من ناحية التحسس لأشعة الشمس فأن أسطورة

مصاص الدماء الأصلية لا تتطرق لهذا الجانب غالبا ، صحيح أن مصاص الدماء أكثر نشاطا في الليل وغالبا ما يقوم بمص دماء ضحاياه ليلا ، لكنه قادر على التجول في النهار وليس لأشعة الشمس تأثير عليه.

عموما نحن لسنا بصدد الخوض في هذا الجدل البيزنطي ولن نضيع وقتنا في محاولة أثبات ما لا يمكن أثباته أو نفي ما لا يمكن نفيه ، لكننا طرحنا هذه المقدمة المختصرة تمهيدا لموضوع مقالتنا الذي يتناول حادثة بشعة وجريمة غامضة وقعت قبل عدة عقود وتم الإشارة إليها في بعض الكتب والوثائق كدليل على وجود مصاصي الدماء.

بطلة قصتنا فتاة سويدية تدعى ليلي ليندستروم ، في الثانية والثلاثين من العمر ، تسكن شقة متواضعة في الطابق الثاني لمنزل مشبوه في منطقة تدعى سانك ايركسبلان وهي من ضواحي العاصمة ستوكهولم آنذاك.

ليس لدينا الكثير لنقوله عن حياة وعمل ليلي ، فهي عاهرة ، مهنتها ليس فيها تعقيد ولا تحتاج للكثير من الشرح ، فهي تستقبل الزبائن في شقتها ولديها عملاء مخلصون ، ولا تتردد أيضا بالذهاب لمنازل وشقق زبائنها إذا طلبوا ذلك ، ولهذا السبب اقتنت هاتفا ، لتسهيل وتسريع استقبال الطلبات والرد عليها ، وبسبب ذلك صاروا يسمونها "عاهرة الهاتف" ، لأنها الوحيدة التي كانت تمتلك هاتفا في منزل البغاء الذي تعيش فيه.

مهنة الدعارة أو البغاء تبدو بسيطة في الظاهر ، إلا أنها ليست مهنة سهلة ولا مربحة على المدى البعيد ، فمعظم العاهرات ينتهين ميتات في

سن مبكرة بسبب الأمراض والحوادث والمخدرات ، وكثيرا ما تتعرض العاهرة للضرب والابتزاز من قبل الزبائن والقوادين وحتى الشرطة .. وبسبب نسبة الخطورة المرتفعة ولأن العاهرات غالبا ما يكن منبوذات اجتماعيا ، لذلك تراهن يتعاهدن بعضهن البعض الآخر بالسؤال والعناية والدعم في وقت الشدائد ، وعليه فأن غياب ليلي عن الظهور ليوم كامل كان دافعا كافيا لصديقتها ميني جانسون لاستدعاء الشرطة.

ميني التي تعمل عاهرة هي الأخرى وتسكن في شقة بالطابق الأرضي في نفس المنزل الذي تعيش فيه ليلي ، أخبرت الشرطة بأنها كانت جالسة مع صديقتها في شقتها حوالي الساعة السابعة والنصف مساءا عندما رن الهاتف ، على الطرف الآخر أتى صوت أجش لرجل مجهول اخبر ليلي بأنه متواجد في الجوار وبأنه يود القدوم لشقتها فوافقت على الفور.

ميني قالت بأنها لم ترى الرجل لأنها نزلت إلى شقتها ، لكن بعد حوالي النصف الساعة دقت ليلي الباب عليها وطلبت منها أن تعيرها واقيا ذكريا ففعلت ، وبعد ذلك بساعة ، أي حوالي التاسعة مساءا دقت ليلي الباب مرة أخرى وطلبت واقيا ذكريا آخر ، ولاحظت ميني هذه المرة بأن صديقتها عارية تماما وتتدثر بمعطف فقط ، وكانت تلك هي آخر مرة تراها فيها.

بعد ساعتين تقريبا ذهبت ميني لشقة صديقتها ، دقت الباب مرارا من دون أن تحصل على رد ، فظنت بأن ليلي قد ذهبت مع الزبون لشقته . وفي اليوم التالي مرت ميني بشقة صديقتها مجددا ، وهذه المرة أيضا

طرقت الباب من دون رد ، فساورها قلق شديد ، فهي تعلم بأن ليلي ما كانت لتوافق على قضاء ليلتها في منزل زبون مجهول.

ميني استدعت الشرطة ، وفي عصر يوم ٤ مايو / أيار ١٩٣٢ طرق رجال الشرطة باب شقة ليلي مرارا وتكرارا من دون رد ، فقرروا أخيرا كسر الباب ، وحين فعلوا ذلك ودخلوا إلى الشقة كانت ليلي بانتظارهم وهي تقبع في سريرها جثة هامدة ووجهها نحو الأسفل . كان من الواضح بأنها ماتت مقتولة بسبب تعرضها لعدة ضربات قوية على مؤخرة رأسها ، على الأغلب بواسطة مغرفة معدنية عثر عليها قرب السرير وهي مغطاة بالدماء .

كانت ليلي عارية تماما ، ومن الواضح أنها مارست الجنس قبيل مقتلها مباشرة ، إذ كان هناك واقي ذكري يتدلى بين فخذيها ، وكان جسدها ، وخصوصا رقبتها وكتفها مغطى باللعاب على نحو غريب . أما أغرب ما في القضية فهو أن جسدها كان خاليا من الدم تماما أو يكاد.

ولم يكن في الشقة ما يدل على حدوث أي عنف أو مقاومة ، كان كل شيء مرتبا وفي مكانه ، حتى ثياب ليلي كان مطوية بعناية فوق كرسي إلى جوار السرير . وكان واضحا بأن الغرض من الجريمة لم يكن السرقة.

المحققون ظلوا في حيرة من أمرهم بسبب هذه الجريمة الغامضة ، ولم يكن إمامهم سوى القيام بحملة مداهمات والتحقيق مطولا من زبائن ليلي المعروفين ، لكن لم يتم التوصل إلى أي رأس خيط يمكن أن يقود

لمعرفة هوية القاتل الذي لم يشاهده أحد وهو يدخل شقة ليلي ولا وهو يغادرها.

قضية ليلي ضلت لغزا حير الباحثين والمولعين بالألغاز على مر السنين ، وقد اشتهرت القضية في الصحافة بأسم "مصاص دماء الأطلس" ، وطبعا تم التطرق إليها كثيرا كدليل على وجود مصاصي الدماء ، فجسد الضحية كما أسلفنا كان خاليا من الدم ، وهناك هالة من الغموض تحيط بالقاتل الذي دخل إلى الشقة وخرج منها من دون أن يلمحه احد ، أضف إلى ذلك أن الجريمة حدثت قبل وقت طويل من ظهور أفلام الرعب التي تدور حول مصاصي الدماء ، الأمر الذي ينحي تماما فرضية حب التقليد أو التأثير النفسي والسلوكي لتلك الأفلام ، وفي الواقع فأن هذه الجزئية بالتحديد قد لا تكون دقيقة تماما ، ذلك أن أول الأفلام المعروفة عن مصاصي الدماء هو الفيلم الألماني الصامت "نوسفيراتو" الذي أنتج عام ١٩٢٢ ، أي قبل عشرة أعوام من حدوث الجريمة.

في عام ٢٠١٢ قيل بأن الشرطة السويدية تحاول فتح القضية مجددا على أمل التوصل للقاتل عن طريقة الحمض النووي المأخوذ عن العينات التي جمعتها الشرطة من مسرح الجريمة آنذاك . لكن من غير المرجح التوصل للقاتل بعد كل هذه السنين ، فهو ميت الآن حتما ، إلا إذا كان فعلا مصاص دماء. !

لغز ثوب الزفاف المسكون !

شخصية الآنسة هافيشام ، تلك العجوز الثرية الغريبة الأطوار التي هجرها حبيبها في ليلة زفافها فتوقف الزمن بالنسبة لها عند تلك اللحظة ، ليس من ناحية الشعور فقط ، بل بالواقع المعاش ، إذ احتفظت بكل شيء حولها كما كان تماما في تلك اللحظة وبقيت ترتدي فستان زفافها لما تبقى من حياتها .. مثل بطلة قصتنا تقريبا ، مع فارق أن بطلة قصتنا هي امرأة حقيقية من لحم ودم وليست من نتاج خيال كاتب عظيم مثل ديكينز ، كما أن بطلة قصتنا ظلت على ما يبدو متمسكة بالماضي حتى بعد موتها ورحيلها عن هذا العالم ! .

على ربوة خضراء يقف وحيدا ، لا أنيس ولا ونيس ، كأنما لا ينتمي لهذا العالم ، وحقا فأن من يراه للوهلة الأولى يحسبه معبدا إغريقيا عمره آلاف السنين .. لكن ما الذي أتى بمعبد إغريقي إلى ولاية بنسلفانيا الأمريكية ؟! .. بالطبع هو ليس معبد ، هو منزل .. أو بالأحرى قصر شيده رجل ثري في منتصف القرن التاسع عشر وأراده أن يكون شيئا مميزا يفتخر به على نظراءه من الأثرياء ورجال الأعمال . ذلك الثري أسمه إلياس بيكر ، وهو تاجر حديد من مقاطعة بلير.

إلياس أنفق مالا كثيرا على هذا القصر الفخم الذي أستغرق بنائه خمس سنوات ، وأنتقل للسكن فيه عام ١٨٤٩ مع زوجته وولديه وأبنته الوحيدة آنا . وقد شهد القصر في أوج مجده وعز أيامه حفلات وسهرات

باذخة كانت كل الأنظار خلالها تتوجه صوب الابنة الجميلة آنا ، مدللة أبيها التي لم يكن يبخل بشيء عليها .

الكثيرون تقدموا للزواج من آنا ، لكن أبوها دائما ما كان يجابههم بالرفض ، أراد لأبنته زيجة مميزة جدا ، ربما من ضابط رفيع في الجيش ، أو سيناتور ذو نفوذ ، أو أمير سليل أسرة نبيلة ، أو حتى ملك .. لم لا .. ففي ذلك الزمان لم يتورع العديد من الأثرياء الأمريكيين عن دفع أموال طائلة ليزوجوا بناتهم من أفراد في الأسر المالكة الأوربية ، خصوصا تلك الأسر التي فقدت عروشها وتداركها الإفلاس ، كانوا يشترون النسب واللقب مقابل المال ، أرادوا أن تصبح بناتهم أميرات وكونتيسات ودوقات ...

لكن لسوء حظ إلياس فأن قلب أبنته لم يتعلق بحسب ولا نسب ، بل تعلق بموظف بائس في أحد مصانعه ، هامت عشقا بالشاب الفقير وأصرت على الزواج منه رغم غضب أبيها وتهديداته ، حتى أنها أشترت سرا ثوب زفاف جميل لكي تزف به إلى عريسها الذي كانت بصدد الهروب معه . لكن في آخر لحظة اكتشف الأب خطتها فمنعها من الخروج وحبسها في حجرتها لأيام وأسابيع وشهور متمادية . أما الحبيب الوسيم الفقير ، فقد طرده الأب شر طردة من مصنعه ، ولم يكتف بهذا ، بل مارس نفوذه على السياسيين والشرطة لإبعاد الشاب المسكين عن الولاية بأسرها بعد تهديده بالسجن والقتل .

بعد فترة طويلة سمح الأب لأبنته بالخروج مرة أخرى ، لكنها لم تعد كما كانت أبدا ، فقدت نظارتها ، كزهرة ذابلة ، أصبحت حزينة وواجمة

على الدوام ، شيء ما أنكسر داخلها إلى الأبد ، خصوصا بعدما انقطعت عنها أخبار حبيبها ، على الأرجح أقتنع الشاب باستحالة زواجه منها فقرر أن يمضي في حياته ، ربما تزوج وأنجب من امرأة أخرى في مدينة بعيدة . أما آنا فقد توقف الزمن لديها عند تلك اللحظة التي منعها أبوها من الخروج واللحاق بحبيبها ، ورفضت لاحقا أن تتزوج رغم كل محاولات وإغراءات والدها ، وظلت عانسا لما تبقى من حياتها .

ومرت السنين تباعا .. مات الأب الثري .. ماتت الأم .. مات أبنائهما .. ولم يتبق في النهاية سوى آنا .. أصبحت عجوزا طاعنة في السن ، تجلس لوحدها كل مساء في ذلك القصر البارد الموحش وهي تحدق بعيون تقطر حزنا وأسى إلى ثوب الزفاف الأبيض المعلق في زاوية حجرتها ، ذلك الثوب الذي لم ترتده أبدا ، لم ترقص به في ليلة زفافها كما تفعل كل عروس ، ولم تلمسه وتداعب أزراره أنامل عريسها الموعود .. كم هي موجعة الذكريات عندما تقترن بالألم والحسرة .

أخيرا في صباح يوم ممطر كئيب من عام ١٩١٤ عثر الخدم على آنا ميتة في فراشها ، الدموع في عينيها وهي تحتضن ثوب زفافها بين يديها . وبموت آنا أغلق القصر ، غرق في الظلام ، ظل هناك على الربوة وحيدا مهجورا .. يبعث على الحزن والأسى .

لكن بعد سنوات قررت حكومة المقاطعة شراء القصر من الورثة وقامت بتحويله إلى متحف . الجميل في هذا المتحف أن كل مقتنياته ظلت على حالها ، الأثاث والمرايا واللوحات والملابس الخ .. الداخل إلى ذلك

المتحف كأنما يعود بالزمن إلى العصر الفيكتوري ليعيش أجواءه الساحرة بالصورة والصوت . ولعل أكثر حجرة مميزة في ذلك المتحف هي حجرة آنا التي تقع في الطابق الثاني ، وأكثر ما يجذب النظر في تلك الحجرة هو ثوب زفافها الذي لم ترتده أبدا والمحفوظ داخل صندوق زجاجي .

وغرابة قصتنا تكمن في ثوب الزفاف ذاك ، إذ أن العديد ممن زاروا هذا المتحف أقسموا بأنهم شاهدوا الثوب يتحرك داخل صندوقه الزجاجي ! .. ليس مجرد حركة عادية ، بل هو اهتزاز من جهة لأخرى كأنما الثوب يرقص !! . وبحسب موظفي المتحف فأن ذلك الاهتزاز أشد ما يكون في الليالي المقمرة . بعض المشككين بالقصة قاموا بتفتيش حجرة آنا جيدا وفحصوا الصندوق الزجاجي الذي يقبع فيه الثوب بدقة ، لكنهم لم يعثروا على أي منفذ لتيار هواء أو خيط يمكن أن يكون المسبب لحركة الثوب ، في الحقيقة لم يكن هناك أي مبرر لحركة الثوب سوى شيء واحد .. وهو أن الثوب مسكون! ..

بحسب بعض الروحانيين فأن شدة تعلق آنا بذلك الثوب تدفع شبحها للعودة إلى القصر من حين لآخر لترقص بسكون وهي تحتضن ذلك الثوب الذي طالما حلمت في أن ترتديه وترقص به خلال حياتها كأي عروس سعيدة بليلة زفافها . واليوم يعد ثوب زفاف آنا واحدا من أغرب الأشياء المسكونة في العالم .. فلقد سمعنا عن منزل مسكون .. سيارة مسكونة .. سفينة مسكونة .. أما ثوب زفاف مسكون فهذا أغرب ما يمكن أن يخطر على بال الإنسان حينما يتعلق الأمر بعالم الجن والأشباح والماورائيات .

لغز موت الملك لودفيج الثانى

هل سمعت عزيزي القارئ بحكاية "الأميرة النائمة" ؟ .. تلك الأميرة الحسناء التي صبت عليها إحدى الساحرات لعنة شريرة جعلتها تنام في قلعة والدها الملك لمائة عام بانتظار قدوم أمير شجاع يوقظها من رقدتها بقبلة ساخنة ! . إنها قصة رائعة تحولت إلى فيلم كارتوني من إنتاج شركة والت ديزني في خمسينيات القرن المنصرم . وبسبب النجاح الكبير الذي حققه الفيلم أضحت قلعة الأميرة النائمة أيقونة مميزة لمنتجعات والت ديزني المنتشرة حول العالم . لكن رغم شهرتها الواسعة فمعظم الناس لا يعلمون بأن تلك القلعة ليست من وحي الخيال تماما ، بل هي نسخة معدلة عن قلعة ألمانية حقيقية لا تقل قصتها غرابة وسحرا عن حكاية الأميرة النائمة .

يعود تاريخ بناء قلعة نويشفانشتاين إلى القرن التاسع عشر وتعد آية من آيات الإبداع والنبوغ المعماري . ما أن ترمقها ببصرك وهي تنتصب بشموخ فوق السفوح الخضراء الشاهقة حتى تشعر بأنك تقف عند عتبة عالم أسطوري يعج بالكائنات والمخلوقات الخرافية الغريبة . وبسبب روعة هذا المنظر يتقاطر سنويا على القلعة ملايين الناس من مختلف أرجاء العالم ، لا بحثا عن الأميرة النائمة طبعا ، لكن طلبا للسحر والجمال الذي أبدعه خيال ملك شاب حالم .

دعونا نعود إلى بداية الحكاية .. إلى صباح أحد الأيام المشمسة من شهر أغسطس عام ١٨٤٥ حينما دقت الأجراس وعمت الأفراح أرجاء

مملكة بافاريا لأن ملك البلاد ماكسيميليان الثاني رزق بمولود ذكر ليكون ولي عهده . الملك أطلق على أبنه أسم لودفيج تيمنا بجده .

كانت عائلة فيتلسباخ التي ينتمي إليها ملوك بافاريا تعد واحدة من أعرق العائلات الملكية الأوربية ، لكن هذه العائلة تميزت بسمة أخرى إلى جانب العراقة ، وهي غرابة الأطوار . وسرعان ما ظهرت بوادر هذا الإرث العائلي على ولي العهد الصغير ، فلاحظ الجميع كونه واسع الخيال يعيش في عالمه الخاص ، يهوى اللعب وحيدا وهو يرتدي ملابس الفرسان مبارزا بسيفه الخشبي جذوع أشجار السنديان العملاقة المتناثرة في أرجاء قلعة هوهنشوينأو حيث اعتادت العائلة المالكة قضاء الصيف هناك.

كان خيال الأمير الواسع وانعزاله يثير قلق والده الملك الذي حاول تدارك الأمر بتعيين أفضل المدرسين لأبنه وإخضاعه لنظام تربية صارم . لكن من دون فائدة ، فالأمير كان يهوى عزلته ، حتى علاقته بوالديه لم تكن وثيقة ، في إحدى المرات ألح الوزراء على الملك أن يصطحب أبنه المراهق في جولاته ليعلمه أصول الحكم ، فرد الملك محتدا : " لكن ماذا سأقول له ؟ .. فأبني بالنهاية لا يهوى الاستماع لما يقوله الآخرون " .

لم يكن الأمير لودفيج مجنونا ، لكن اهتماماته وميوله الاجتماعية لم تكن تليق بملك ، لم يكن يهوى السياسة وجلسات البلاط ، كان اهتمامه منصبا على أمور أخرى كولعه الكبير بالموسيقى ، خصوصا بحفلات الأوبرا وقصصها الملحمية التي وجد فيها متنفسا لروحه الحالمة . كما كان محبا لفن الرسم ، والأزياء ، ومتذوقا للشعر ، يردد أبيات الملاحم الأسطورية

بشغف في جلسات تحت ضوء القمر مع صديقه الوسيم الأمير بول الذي كثرت الشائعات حول طبيعة العلاقة بينهما ، وهي شائعات ستطارد الأمير لودفيج لما تبقي من حياته ، إذ كان ميالا للرجال ، لم يتزوج قط ، ولم يتخذ عشيقة كما يفعل الملوك عادة . اقتصرت علاقاته النسائية على خطبة قصيرة لابنة عمه الأميرة صوفي ، لكنه سرعان ما فسخ تلك الخطوبة ، كما جمعته صداقة وثيقة بابنة عمه الأخرى الأميرة الحسناء إليزابيث التي أصبحت لاحقا إمبراطورة النمسا . وبغير ذلك لم يكن الملك ميالا للنساء .

ولي العهد لم يكن مهيئا لتسلم زمام الحكم حينما أجلسوه على العرش وتوجوه بأسم لودفيج الثاني عام ١٨٦٤ بعد موت والده المفاجئ أثر وعكة صحية . لم تكن للملك الجديد أية دراية أو خبرة سياسية ، هو نفسه تحدث عن ذلك قائلا : " لقد أصبحت ملكا بوقت مبكر جدا . كنت ما زال في طور التعلم ، كنت قد بدأت بداية جيدة بدراستي لقوانين المملكة .. لكن فجأة انتزعوني من كتبي وأجلسوني على العرش . في الواقع أنا مازلت أحاول التعلم " .

ورغم خبرته القليلة فقد نال لودفيج محبة شعبه لكونه شاب بهي الطلعة لا يترفع عن محادثة العامة خلال جولاته في أنحاء البلاد ، وكان كريما يسبغ العطاء للبسطاء والفقراء . لكن على عكس علاقته الجيدة بالشعب فأن علاقة الملك بحكومته لم تكن بنفس الحرارة ، إذ كان يكره جلسات الحكومة والبلاط ولم يمضي في عاصمة ملكه ميونخ إلا فترات قصيرة . وزاد الطين بله تلك النكبة التي واجهها في بداية ملكه ، ففي سنة ١٨٦٦ انهار تحالفه مع النمسا بعدما منيت جيوشهما بهزيمة ساحقة على

يد بروسيا ، مما أدى لخضوع مملكة بافاريا بالكامل لسيطرة بروسيا التي لمع في سماءها آنذاك أسم المستشار الحديدي بسمارك الذي كان عازما على توحيد الأمة الألمانية . وسرعان ما أجبروا الملك الشاب على توقيع معاهدة تصبح بافاريا بموجبها جزءا من الإمبراطورية الألمانية الوليدة تحت حكم عمه الإمبراطور ويلهام الأول . صحيح أن بافاريا احتفظت بحكومتها وبرلمانها وجيشها الخاص ضمن ألمانيا الموحدة ، لكنها فقدت استقلاليتها ، وهو ما أزعج الملك لودفيج كثيرا إلى درجة أنه فقد اهتمامه تماما بالسياسة وأمور البلاط ولم يعد يلتقي بحكومته إلا في المناسبات الخاصة كافتتاح البرلمان أو تشكيل الوزارة الجديدة ، وأنصرف تماما لمشاريعه الخاصة ، فشيد مسرح أوبرا ضخم في ميونخ وقدمه لموسيقاره المفضل ريتشارد واغنر الذي كان يحظى بمكانة كبيرة لدى الملك .

أخذ الملك يوجه كل اهتماماته للبناء وراح يصرف ببذخ كبير على مشاريعه العمرانية ، فشيد المسارح والقصور الفارهة ، وأسس الحصون والقلاع الضخمة ، أشهرها طبعا قلعة نويشفانشتاين ، وهي القلعة التي حلم ببنائها مذ كان صبيا صغيرا .

قلعة نويشفانشتاين تقع على ارتفاع ٨٠٠ متر ، شرع الملك الشاب ببنائها عام ١٨٦٨ وفقا لطراز من العمارة يعرف بأسم الرومانسيكي والقوطي ، وهو طراز كان سائدا في أوربا العصور الوسطى ، مع إضافة لمسات ساحرة مستوحاة من موسيقى واغنر وشخوص مسرحياته الخيالية. وقد أنفق الملك على بناء القلعة من أمواله الخاصة وليس من أموال الشعب ، وساهم بنائها في توفير فرص عمل للفقراء في الأماكن النائية والبعيدة .

على عكس توقعات الملك فأن العمل بالقلعة لم ينتهي في ثلاث سنوات كما كان يخطط وأمتد لفترة طويلة ، وكان الملك يضع بصمته الخاصة على كل صغيرة وكبيرة ، وربما لهذا السبب خرجت القلعة بهذا الشكل المميز . كان هناك ٣٠٠ عامل يعملون ليل نهار في البناء ، وتم جلب أطنان من المرمر الفاخر الذي غلفت به الجدران ، إضافة إلى أجود أنواع الأخشاب المرصعة بالأحجار الكريمة والمطلية بالذهب والفضة .

القلعة تخلب الألباب بجمالها ، ديكور الغرف والرسوم والنقوش التي تزين الجدران مستوحاة من الأساطير الألمانية القديمة ، وهناك الكثير من تماثيل البجع والفرسان . وقد بنا الملك لنفسه كهفا في القلعة تنساب فيه الشلالات . وزينت القلعة بأبراج شاهقة رشيقة بيضاء أضفت سحرا خاصا عليها .

القلعة الموجودة الآن غير مكتملة ، وربما لو قيض لها أن تكتمل لكانت واحدة من عجائب الدنيا ، لكن بسبب موت الملك لودفيج وتكاليف البناء الباهظة جدا تم إلغاء العديد من الأقسام والملحقات ، فيما تم إكمال أخرى بتحويرها وتبسيط بنائها وإضافة ديكورات ونقوش رخيصة .

مشاريع البناء الباهظة والمستمرة على قدم وساق في طول البلاد وعرضها أدت إلى إغراق الملك بالديون ، إذ راح يستدين المال من أفراد عائلته ثم من البنوك حتى بلغت ديونه ١٤ مليون مارك ، وهو مبلغ خيالي بحساب تلك الأيام . لكن رغم الدين الضخم فأن الملك لم يتوقف عن البناء وطرح مشاريع جديدة وهو ما أستفز الحكومة بشدة ، وزاد التشنج بين

الملك والحكومة بعدما تقدم بطلب قرض قيمته ٦ ملايين مارك لإكمال مشاريعه ولدفع الديون المستحقة عليه خشية أن يقوم الدائنون بالحجر على قصوره وقلاعه . لكن الحكومة رفضت إقراض الملك ، فقرر أن يقيلها ، لكن الحكومة كانت أسرع منه وبدأت تخطط لخلعه بالتواطؤ مع عمه الأمير لويتبود . وكانت الخطة تقضي بإعلان الملك مجنونا لأن ذلك هو السبيل الوحيدة لخلعه ، وتم تكليف الكونت فون هلونشتاين لجمع الأدلة على جنون الملك ، وكان هذا الكونت يكره الملك فقام بجمع أدلة من بعض الخدم الناقمين على الملك لسبب أو لآخر ، وتلخصت التهم الموجهة للملك في كونه خجولا وانعزاليا ومتقاعسا عن تصريف شؤون مملكته ، وكذلك تصرفاته الغريبة ، مثل رحلاته الليلية السرية ، ولبس ملابس الشتاء في الصيف ، وتناول الطعام في الخارج خلال الطقس البارد ، والتصرف بصبيانية وقذارة على مائدة الطعام ، وإرسال المهندسين والمستشارين في رحلات طويلة ومكلفة في عموم أوربا من اجل أن يستوحوا تصاميم جديدة لقلاعه وقصوره ، والتعامل بعنف وقسوة مع خدمه ، إضافة إلى كون الجنون صفة وراثية في عائلته ، حيث أن شقيقه الأصغر أوتو هو الآخر غريب الأطوار .

ولأجل أن يحبكوا خطتهم بصورة أفضل فقد شكلت الحكومة لجنة من أربعة أطباء نفسيين برئاسة الطبيب برنارد فون غوتن لتشخيص حالة الملك العقلية ، وقد توصل هذا الفريق إلى أن الملك مصاب بجنون الارتياب وبأنه غير صالح للحكم ولتأدية واجباته الملكية . المفارقة هي أن أحدا من فريق الأطباء الذين شخصوا حالة الملك لم يقابله شخصيا .

الملك كان في قلعة ويشفانشتاين أثناء عمل اللجنة ، وقد نصحه بعض أصدقاءه بالفرار إلى ميونخ لكي يحظى بحماية الشعب لكنه تردد ، وكان ينوي المقاومة ، لكنه حوصر في القلعة وأخذ قسرا ، وكان الطبيب فون غوتن ضمن زمرة الرجال الذين ألقوا القبض على الملك ، وقد صرخ فيه الملك قائلا : " كيف أعلنتني مجنونا وأنت لم يسبق لك أن رأيتني أو فحصتني " . فأجابه الطبيب بأن ذلك غير ضروري بوجود الشهود والمستندات . وتم اخذ الملك إلى قلعة بيرج بالقرب من بحيرة ستارنبيرغ الواقعة إلى الجنوب من ميونخ .

وفي عصر يوم ١٣ يونيو عام ١٨٨٦ ، أثناء احتجاز الملك في القلعة ، طلب الملك من الطبيب فون غوتن أن يخرجا ليتمشيا قليلا في حدائق القلعة وضفاف البحيرة ، فوافق الطبيب ، وفي بعض الروايات أن الطبيب هو من طلب من الملك أن يخرجا ويتنزها . على أية حال ، في حوالي الساعة السادسة والنصف من عصر ذلك اليوم خرج الاثنان ليتمشيا وقد طلب الطبيب من الحراس بأن يبقوا بعيدا عنهم ، وهكذا خرج الاثنان بدون حراسة ، وكان مقررا أن يعودا عند الساعة الثامنة مساءا . لكنهما لم يعودا في الوقت المحدد وبدأ المطر ينهمر بشدة ، فخرج الحراس والخدم للبحث عنهما ، أستمر البحث المكثف حتى الساعة العاشرة والنصف ليلا عندما تم العثور على جثتي الملك والطبيب تطفوان فوق سطح البحيرة . وكانت ساعة الملك قد توقفت عند الساعة ٦:٥٤ دقيقة .

الحكومة البافارية أصدرت بيانا قالت فيه بأن الملك مات منتحرا . لكن تشريح الجثة أظهر بجلاء أن رئته خالية من الماء ، أي أنه لم يمت

في الماء ، كما كان معروفا عن الملك بأنه سباح ماهر ، ومن غير المعقول أن يموت غرقا في مياه البحيرة التي بالكاد تصل أعلى خصره . أما بالنسبة لجثة الطبيب فون غوتن فقد أظهر التشريح وجود ضربة على الرأس وكدمات على الجسد والرقبة مما يدل على أن أحدا ما قام بقتله خنقا ، لكن طبعا لا يوجد دليل أو شاهد يؤكد ذلك .

لسنوات طويلة ظل موت الملك لودفيج لغزا ، لكن هناك نظريات وإشاعات كثيرة حول حقيقة ما جرى في تلك الليلة الرهيبة ، وإحدى أقوى تلك النظريات تتعلق بـــ جاكوب ليدل ، وهو صياد السمك الخاص بالملك ، والذي قال بأن الحكومة أخذت منه عهدا بأن لا يفتح فمه ولا يقول أي شيء عن ما جرى في ليلة مقتل الملك حتى لزوجته وأطفاله ، لا بل حتى في اعترافاته للكاهن في الكنيسة ، وبالمقابل تعهدت الحكومة في أن ترعى عائلته في حياته وبعد موته . وبالفعل لم ينطق ليدل بحرف واحد عما جرى في تلك الليلة ، لكن بعد موته عام ١٩٣٣ ، عثروا على رسالة مكتوبة بخط يده يزعم فيها بأنه كان مختبئا بقاربه في الأحراش عند ضفاف البحيرة في تلك الليلة ، وبأنه كان بانتظار الملك لكي يقوم بتهريبه من القلعة إلى حيث ينتظره بعض أنصاره ، وبأن الملك تمكن فعلا من الوصول إلى القارب ، لكنه ما أن وضع قدمه في القارب حتى انطلقت رصاصة قادمة من ضفاف البحيرة وأردته قتيلا في مياه البحيرة بالحال .

طبعا التقرير الرسمي الذي أصدرته الحكومة لتشريح جثة الملك لا يظهر وجود أي جروح ناتجة عن أطلاقات نارية في جسده ، لكن إحدى

قريبات الملك عرضت على ضيوفها بعد سنوات معطفا رماديا فيه ثقبين كبيرين وزعمت بأنه المعطف الذي كان الملك يرتديه ليلة مقتله .

بعد موت الملك لودفيج تولى شقيقه أوتو عرش بافاريا ، لكنه هو الآخر تمت أزاحته بحجة الجنون ، وتم تسليم العرش إلى عمه ليوتبود . وفي عام ١٩٣٣ ألغيت الملكية في سائر أنحاء ألمانيا بما فيها بافاريا .

قصة حياة وموت الملك لودينغ أضفت المزيد من السحر والغموض على قلعة ويشفانشتاين ، وكأنها تنطق بلسانه حين قال يوما لأحد وزراءه : " أريد أن أبقى لغزا أبديا لنفسي وللآخرين " .

لغز العالم المجنون

يمكن تعريف الجنون ، بصورة مبسطة ، على أنه السلوك والتفكير الشاذ وغير السوي والغير مبرر والغير متوافق مع المعايير الاجتماعية السائدة (Societal Norms) .

قد يسأل أحدكم ما هي المعايير الاجتماعية السائدة ؟ .. فنقول هي السلوكيات والأعراف والأفكار المتفق عليها في مجتمع ما .

مثلا ارتداء الناس للملابس هو العرف السائد في معظم دول العالم ، وعليه فأن رؤية شخص ما عاري الثياب – ربي كما خلقتني – يسعى في الشارع سيعده الناس ضربا من ضروب الجنون . وقد جرى العرف أيضا على أن لا يكلم الإنسان نفسه أمام الآخرين ، وعليه فأن رؤية شخص يتحدث إلى نفسه ، خصوصا حين يكون ذلك مصحوبا بحركات تعبيرية للوجه واليدين ، فأن هذا الأمر يعد أيضا ضربا من الجنون أو المشاكل العقلية – مع أن الكثير من الناس يكلمون أنفسهم في خلواتهم ! – .

المجنون باختصار شديد هو شخص غير طبيعي من ناحية السلوكيات ، وأظن بأن أغلبكم قد مر في حياته بشخص مجنون ، سواء كان فردا من العائلة أو الأقارب أو الجيران ، أو ربما رأيتم أحدهم في الشارع ، ويكون على الأغلب إنسانا بائسا رث الثياب والمظهر غير مدرك لما يدور حوله وقد يقدم على أفعال مفاجأة تتسم بالغرابة والعنف . والمجنون كلغة هو فاقد العقل فاسده ، وهنا يجب التفريق بين المريض العقلي والنفسي ..

فالمجنون – المريض العقلي أو الذهاني – لا يدرك أنه مجنون ، أي أن تصرفاته الغير سوية تكون عن غير وعي وأدارك منه ، فهو يعيش في عالم منفصل تماما عن الواقع ، بينما المريض النفسي أو العصابي قد يدرك جسامة وضعه وقد يسعى لتدارك نفسه بالعلاج . مثلا المريض النفسي قد يتخيل سماع أصوات لا يسمعها سواه ، وهو يدرك بأن ما يسمعه غير طبيعي ، أو يشك في ذلك ، ويصاب بالرعب ، وقد يراجع طبيبا أو يذهب إلى شيخ أو يطلب المشورة وكذا . أما المريض العقلي فتكون هذه الأصوات جزءا من واقعه ، هو مؤمن تماما بأنها موجودة وحقيقية لا يشك في ذلك أبدا . وكثيرا ما يكون المرض العقلي مرتبط بخلل في وظائف أو كيمياء المخ .

أن عدم ادارك المجنون لجنونه يجعله يرى الآخرين ، أي العقلاء ، هم المجانين ، وقد سمعت بأن المصحات العقلية أيام زمان كانت تسرح المجنون الذي يقول عن نفسه مجنون على اعتبار قوله هذا دلالة على شفاءه ، أما المجنون الذي يصر على أنه عاقل فهو بالتأكيد مجنون ، أي تماما كما شاهدنا في الفيلم ، فالأطباء لم يلتفتوا لتأكيدات إبراهيم على أنه عاقل ، بل حسبوا ذلك تأكيدا على جنونه ، لأن معظم المجانين يقولون بأنه عاقلون وينظرون للعقلاء على أنهم مجانين ، وهناك عبارة شهيرة بهذا الخصوص تقول : " في عالم المجانين يعتبر الشخص العاقل هو المجنون" . أي أنك لو أتيت بشخص عاقل وجعلته بين المجانين وراح يتصرف ويتحدث بينهم كعاقل فسيعدونه حتما غريب الأطوار وقد يسمونه مجنونا ! . ويقول المخرج الياباني أكيرا كوروساوا : " في عالم مجنون ، فقط المجنون هو

العاقل " ، لذا لا تحاول أن تكون عاقلا بين المجانين ، وهذا لا ينطبق على المصحات العقلية بل على الواقع العام أيضا .

وهناك حكاية طريفة أحببت أن أقصها لكم بهذا الشأن :

" يقال بأنه كان هناك ملك حكيم يحكم مدينة كبيرة ، كان مرهوب الجانب وفي نفس الوقت محبوبا لحكمته . وكان يوجد في قلب تلك المدينة بئر ماءه صافي كالزلال يشرب منها جميع سكان المدينة وليس لديهم مصدر للماء غيره. وفي إحدى الليالي تسلل أحد الأعداء إلى المدينة وسكب بضعة قطرات من سائل غامض في مياه ذلك البئر ثم توارى وسط الظلام . ومنذ تلك اللحظة أصبح كل من يشرب من البئر يصاب بالجنون .

طبعا جميع الشعب شربوا من البئر ، وجميعهم أصيبوا بالجنون ، ما عدا الملك لأنه كان لا يشرب من البئر مباشرة ويخزن الماء في قصره .

وبالتدريج بدأ أبناء الشعب – المجانين – يتهامسون : " الملك فقد عقله ، أنظروا إلى تصرفاته كم هي غريبة . لا يمكن أن يحكمنا شخص مجنون ، يجب أن نخلعه عن العرش " .

الملك شعر بخوف شديد من شعبه وتوجس ثورتهم عليه ، ولأنه رجل حكيم وذو بصيرة فقد توصل إلى حل نهائي للمشكلة ، فقد أدرك بأن ماء البئر هي سبب جنون شعبه ، فأمر بأن يحضروا له كمية كبيرة من ماء البئر وشرب منها حتى امتلأت بطنه . وفي اليوم التالي عمت الأفراح المدينة بأسرها وأحتفل الناس في الشوارع لأن ملكهم المحبوب قد أستعاد رشده أخيرا !! " .

قصة طريفة ، وهي تدفعنا للتساؤل حول مقدار الصواب في المعايير الاجتماعية ، القيم والأعراف والأفكار ، التي يؤمن بها المجتمع ، ماذا لو كانت معايير مجنونة كما هو الحال مع معايير سكان المدينة أنفة الذكر ، ماذا لو كان من نسميهم مجانين هم العقلاء والعكس صحيح .

طبعا نحن لسنا بالضرورة مجانين أو مختلين عقليا ، لكننا من حيث لا ندري ربما نكون جزء من فكرة أو رأي أو قيم مجتمعية مجنونة .

يقول نيتشه : " الجنون على مستوى الأفراد شيء نادر ، لكنه القاعدة الشاملة على مستوى الجماعات والأحزاب والأمم والعصور " .

ولو تدبرنا هذا القول جيدا لوجدنا بأنه لا يخلو من واقعية ، إن لم يكن هو عين الصواب ، فتاريخ البشر على هذا الكوكب هو عبارة عن سلسلة من الجنون المتواصل والغير مبرر الذي نتج عنه ما لا يعد ولا يحصى من المجازر والمذابح والتدمير والإبادة .

من المؤكد بأن المعايير لا تكون صائبة على الدوام ، وقد تتمسك جماعة بشيء أو مبدأ ما يكون هو الجنون بعينه ، لنأخذ مثلا النازية ، هي في جوهرها جنون مطلق قائم على العنصرية والتمييز بين البشر ، لكن يكذب من يقول بأن النازية لم تشهد رواجا عارما بين الألمان في ثلاثينات القرن المنصرم ، وأن هتلر لم يكن معبود الجماهير . الأمر نفسه يقال عن الماركسية ، ملايين الناس حول العالم نذروا أنفسهم في سبيلها حتى صارت هي الناموس لبعض الدول وأستمر ذلك لعقود ، لكن كل ذلك انتهى إلى فشل ذريع ، وكذلك الأمر بالنسبة للرأسمالية حيث يسعى ويشقى الناس

طيلة حياتهم من اجل أن تتكدس الأرباح في جيوب مجموعة من الأشخاص والشركات التي تحكم العالم من وراء الستار .

قد يقول قائل بأن كلامنا هذا كله مردود علينا ، لأننا كبشر لدينا عقل وأدارك ونستطيع أن نميز بين المعايير الاجتماعية الصائبة والخائبة . لكن هذا غير صحيح تماما بالنسبة لمعظم الناس ، لأننا مخلوقات اجتماعية يحلو لنا أن نتماهى ونندمج مع الفكرة والتيار العام في المجتمع والجماعة كي لا نتعرض للنبذ ولا نعتبر مختلفين ، لذلك غالبا ما نتبنى معايير وأفكار الجماعة حتى ولو من دون فهم كامل لها وقد نستميت في سبيلها . فلنأخذ مثالا بسيطا جدا ، فقبل مائة عام لم يكن سائدا أن تحلق المرأة شعر رجليها – وأنا هنا أتحدث عن الغرب – ، لكن مع مطلع القرن العشرين ، ربما بسبب ظهور التنوره والمايوه ، أصبح ذلك تقليعة ثم صار أشبه بالعرف ، ولا تكاد ترى امرأة إلا وتحلق رجليها ، وفي ذلك من العناء والإزعاج ما تعرفه النساء جيدا ، ولا ضرورة له إلا إرضاء لمعايير اجتماعية معينة ، فأن تظهر المرأة بشعر ساق طويل هو أمر يثير الانتقاد والاشمئزاز مع أنه الشيء الطبيعي . وأذكر حتى ثمانينات القرن الماضي كان من العار على الرجل أن يحلق شاربه ، وأنا أتكلم هنا عن المجتمع الذي عشت فيه ، كان الشارب شيء مقدس ، يحلف به الرجل ، وينظر باحتقار للذين يحلقونه ، أما اليوم فقد تبخرت تلك القدسية وأصبح حلق الشارب أمرا عاديا جدا .

هذه مجرد أمثلة بسيطة ، فهناك أعراف ومعايير وقيم مجتمعية أجل شأنا وأعظم خطرا ، وهي مثيرة للسخرية لو نظرت إليها بعين متجردة من العاطفة والتحيز ، لكن معظم الناس لا يجهدون عقولهم بالتفكير فيها كثيرا

، هم مجبولون منذ نعومة أظفارهم على السير مع الجماعة ، أو كما يسميها البعض بثقافة القطيع ، لا يشذون عن ذلك ولا يحاولون الخروج عن ذلك الخط المرسوم أبدا ، لا بل يغضبون ممن يحاول فعل ذلك . ولأني لا أريد أن أعمم على غيري من الناس لذا سأتكلم عن نفسي فحسب ، أنا أعترف بأني كنت مخلصا دوما للقطيع ، مع أنه قطيع كثير العثار والغبار ، ولم أسعى يوما للخروج عنه ، عن أعرافه وقيمه وأفكاره ، وما أنا سوى "مجعجع" أجيد تسطير الكلمات ، أما الأفعال فصفر على الشمال ، بعبارة أخرى أنا لم أحاول أبدا أن أكون إلا خروفا ، وسأعيش خروفا وأموت خروفا ، امتلكت الإدراك ولم أمتلك يوما الشجاعة ولا الجرأة . العظماء والمؤثرين والمتميزين والمجانين هم فقط من يمتلكون جرأة الخروج عن القطيع . تقول الفيلسوفة والكاتبة آين راد : " تم تعليم الرجال على أن يتوافقوا مع الآخرين ، لكن المبدعون فقط هم الذين لا يتفقون . تم تعليم الرجال على أن يسبحوا مع التيار ، لكن المبدعون فقط هم الذين يسبحون ضد التيار ، تم تعليم الرجال على الوقوف مع الجماعة ، لكن المبدعون فقط هم الذين يقفون بمفردهم " .

لكن ما معنى هذا الكلام ، هل العالم كما نعرفه اليوم هو عبارة عن مجموعات كبيرة من البشر تسعى وتتصرف من دون أدارك منها وفق معايير وخطوط مرسومة وموضوعة سلفا للتحكم والسيطرة ؟ ..

نعم لم لا .. ألا يتم تجييش الملايين من الناس بأسم القومية والمعتقد والشعور الوطني والديمقراطية والدفاع عن الحريات الخ .. أنا لا أتكلم هنا عن الشرق فقط ، لا بل حتى عن الغرب المتطور ، وفي كل مكان ، من

أقصى العالم إلى أقصاه ، يجري تجييش البشر لقضايا معينة ، وقد يخرج الناس إلى الشوارع وهم يصرخون بغضب ، وقد يحطمون كل شيء أمامهم ، وقد يثورون ويسقطون حكومات ... وهم لا يدركون بأنهم في النهاية ليسوا سوى بيادق صغيرة بيد مجموعة من المجانين تحرك العالم وتحكمه بيد من حديد . وأنا هنا لا أتكلم عن نظرية المؤامرة ، بل عن عالم مجنون وفاقد للمنطق والعقل تماما ..

يقول غوته : " لسنا بحاجة لزيارة المصحات العقلية لنعثر على المجانين ، فكوكبنا هو المصحة العقلية لعموم الكون" .

وفي عالم مجنون كهذا من الأفضل للمرء أن يكون مجنونا ، أو أن يتظاهر بالجنون ، "حشر مع الناس عيد " ، وإياه أن يقول بأنه عاقل ، لأنهم لن يدعوه ينجو أبدا من هذه المصحة العقلية البشرية العظيمة .

لغز ايتام دوبلسيز

قصتنا حدثت في كندا خلال حقبة الأربعينيات من القرن المنصرم , تحديدا في مقاطعة كيبك , حيث تواطأت عدة جهات حكومية ومجتمعية على جريمة نكراء يقشعر لها الضمير الإنساني , فتم إيداع عشرين ألف طفل يتيم في المصحات العقلية بالرغم من أنهم لا يعانون أي عارض عقلي ويتمتعون بكامل قواهم العقلية .

القضية تعرف تاريخيا بأسم (أيتام دوبلسيز) نسبة إلى حاكم مقاطعة كيبك في ذلك الزمان موريس دوبلسيز . جذور القصة تعود إلى حقبة الأربعينات والخمسينات من القرن المنصرم حيث كانت الحكومة الكندية تدفع لمقاطعة كيبك بسخاء من اجل بناء المستشفيات , لكن لا شيء من أجل دور الأيتام , وكانت الإعانة الحكومية تتضمن مبلغ ٢,٧٥ دولار مقابل كل مريض عقلي , فيما لا يحصل اليتيم سوى على ١,٢٥ دولار . لذلك تفتق عقل حاكم المقاطعة بالاشتراك مع بعض الجهات ذات الطابع الديني على تحويل جميع الأيتام إلى المستشفيات العقلية للحصول على دعم مادي أكبر . وهكذا وعلى مدى سنوات تم إرسال أكثر من عشرين ألف طفل يتيم إلى المستشفيات العقلية مع أنهم لا يعانون من أي مشاكل عقلية , لكن الأطباء في تلك المستشفيات قاموا بتشخيصهم بمختلف الإمراض العقلية , ربما على طريقة تجربة روزنهان التي تطرقنا إليها أنفا , ولمدة عشرين عام عانى هؤلاء الأطفال من تجاوزات رهيبة داخل تلك المصحات , بما فيها الاعتداء الجنسي المتكرر , والضرب , والإذلال , وإجبارهم على تناول

الأدوية والعقاقير الخاصة بالمرضى العقليين , والتعرض للصدمات الكهربائية وعمليات بدائية مرعبة في المخ , وهناك من يزعم بأن قسم من هؤلاء الأطفال كانوا ضحية لتجارب سرية أجراها الجيش وجهاز المخابرات الأمريكي (CIA) في أربعينيات القرن الماضي على البشر , وهي قضية وفضيحة معروفة في الولايات المتحدة لكن لا يوجد دليل على أنها امتدت إلى كندا .

أن النتيجة الحتمية لمعاناة أولئك الأطفال كانت موت أعداد كبيرة منهم وإصابة أعداد أكبر بمشاكل عقلية ونفسية , ويقال بأن عدد كبير من أولئك الأطفال دفنوا في مقابر سرية جماعية ترفض الحكومة الإفصاح عنها . ولم تتوقف عمليات إيداع الأيتام في المصحات العقلية إلا في ستينيات القرن المنصرم .

قضية أو فضيحة أيتام دوبلسيز , والتي تعرف أيضا بأسم (المحرقة الكندية) و (جريمة العصر) , ظلت طي الكتمان حتى تفجرت من جديد في تسعينيات القرن المنصرم على يد لجنة تشكلت من حوالي ثلاثة آلاف شخص ممن تبقوا على قيد الحياة من أيتام دوبلسيز , وكانت مطالبهم تتلخص في الحصول على اعتذار رسمي من الحكومة الكندية والجهات الأخرى التي ساهمت في مأساتهم . وقد تم إغلاق القضية نهائيا عام ٢٠٠١ بعد التوصل إلى أتفاق مع الأيتام يتوقفون بموجبه عن مقاضاة الحكومة أو السعي مجددا لفتح القضية مقابل حصولهم على تعويضات مغرية .

لغز الرؤوس الموشومة

أظنكم جميعا سمعتم عن نيوزيلندا , تلك الأرض الساحرة القابعة في حضن المحيط الهادي , لكني أحسب بأن القليل منكم لديهم معلومات وافية عن تلك الجزيرة – بالأحرى مجموعة الجزر – وعن سكانها وتاريخها وسياستها الخ .. ومعكم حق , أنا أيضا لم أكن أعرف الكثير حتى قرأت عنها . وأقول معكم حق لأنها أرض معزولة تقع في أقاصي الأرض , يحيط بها الماء من جهاتها الأربع , وأقرب بلد كبير إليها هو أستراليا , والقرب هنا مجرد وصف وليس حقيقة , فالمسافة بينهما تزيد عن ألف وخمسمائة كيلومتر .. والظاهر أن سكان نيوزلندا راضون مستمتعون بعزلتهم وسط طبيعة بلادهم الساحرة وطقسها المعتدل , لذلك قلما نرى أسم بلدهم يتصدر عناوين الأخبار .. وذلك طبعا من حسن حظهم , فأنا على قناعة بأن البلدان التي لا يتردد أسمها كثيرا في نشرات الأخبار هي تلك السعيدة والمستقرة من جميع الجهات والأوجه , ويؤكد كلامي هذا أن شعب نيوزيلندا يصنف دوما من بين أسعد عشرة شعوب على وجه الأرض .

لكن دعونا من الحسد , ولندق الخشب , لئلا يبتلي الله سكان الجزيرة الآمنة المسالمة بــ "عباقرة" كالذين ابتلانا بهم .. ولنعد لموضوعنا عن رؤوس الموكو , وهو موضوع يستلزم منا أن نخوض قليلا في تاريخ نيوزيلندا , فهو لم يكن ناصع وأبيض على الدوام , إذ تشوبه بعض الصفحات الحمراء الدامية .

نيوزيلندا تتألف من جزيرتين عملاقتين , هما الجزيرة الشمالية التي تضم العاصمة اليوم , والجزيرة الجنوبية , إضافة لمجموعة أخرى من الجزر الصغيرة المتناثرة هنا وهناك . ويقول العلماء بأن البشر وصلوا إلى نيوزيلندا حوالي القرن الثالث عشر للميلاد , هؤلاء الواصلون الأوائل كانوا من الشعوب البولينيزية التي بسطت نفوذها واستوطنت معظم جزر المحيط الهادئ ما بين أستراليا وهاواي , وهو عمل جبار يثير الدهشة , فكيف لشعوب بدائية بقوارب خشبية بسيطة أن تطوي هذه المساحات المائية العظيمة , كيف تنقلوا بين جزر تفصل بينها آلاف الأميال ؟ .. ومن أين كانوا يأتون بالمياه العذبة وسط هذا المحيط المترامي الأطراف ؟ .. أسئلة محيرة فعلا , لكنها ليست موضوع بحثنا , وعليه فلندع هؤلاء البحارة الأفذاذ يصارعون أمواج المحيط العاتية بقواربهم الصغيرة ولنلحق بأولئك الرواد الأوائل الذين حطوا بأقدامهم العارية على سواحل نيوزيلندا , والذين عرفوا لاحقا بأسم أقوام الـــماوري (Māori) , وتمتعوا بخيرات الجزيرة لعدة قرون قبل وصول الرجل الأبيض .

لقد كون الماوري مجتمعات صغيرة ذات طابع طبقي , غالبا ما تركزت بالقرب من الساحل , وكانت معيشتهم تعتمد على الصيد والتقاط ما تجود به الطبيعة من ثمار وخضار , وكانت الأرض العذراء سخية جدا معهم بحيواناتها العجيبة التي لا مثيل لها على وجه الأرض , مثل طائر موا العملاق , الذي يشبه النعامة لكنه يفوقه حجما ولا يتملك أجنحة , والذي أصطاده الماوري إلى حد الانقراض في القرن السادس عشر .

لكن الماوري لم يسرفوا في اصطياد الموا فقط , بل في اصطياد أنفسهم أيضا , فعلى مدى قرون كان القتال محتدما بين القبائل حول مناطق النفوذ . وهذا القتال أتسم غالبا بطابع وحشي , فكان الماوري لا يتورعون عن أكل لحوم خصومهم .

في عام ١٦٤٢ وصل أول رجل أبيض إلى سواحل البلاد , وهو الهولندي أبل تاسمن . والهولنديون هم من أعطوا البلاد أسمها الحالي , أي نيوزيلندا , بمعنى زيلندا الجديدة , وذلك تيمنا بمقاطعة زيلندا في هولندا . اللقاء الأول بين الأوربيين والماوري لم يكن وديا , سفينة تاسمن ألقت مرساتها بالقرب من أحد الخلجان في الجزيرة الجنوبية , وأرسل تاسمن رجاله بالقوارب إلى البر ليجلبوا الماء العذب , هناك على الساحل باغتهم الماوري وقتلوا أربعة منهم ثم طاردوا الباقين إلى السفينة الأم , لكن الهولنديين أحبطوا الهجوم بإطلاق نيران مدفعيتهم على قوارب الماوري السريعة . وبسبب هذه الحادثة أطلق تاسمن على ذلك الخليج أسم (خليج القتلة) .

الكابتن كوك أعاد اكتشاف نيوزيلندا عام ١٧٦٩ ثم أخذ المستوطنين البيض يتدفقون على الجزر , في البداية كانت العلاقة بين البيض والسكان جيدة وارتبطوا بعلاقات تجارية بسيطة قائمة على أساس المقايضة , لكن مع مطلع القرن التاسع عشر أصبحت العلاقة متشنجة بين الطرفين بسبب استيلاء البيض على الأراضي وتشييدهم المزيد من المستعمرات . كان هناك قتال ووقعت مذابح , أشهرها مذبحة بويد عام ١٨٠٩ حيث هاجم الماوري الغاضبون سفينة انجليزية راسية في ميناء وانغاروا وقتلوا جميع

من على متنها ما خلا خمسة أشخاص , فعلوا ذلك انتقاما لقيام قبطان السفينة بجلد أبن زعيم إحدى قبائلهم . هذه المذبحة بثت الرعب في قلوب البيض , لاسيما مع انتشار القصص حول التهام الماوري للحوم القتلى من البيض , كان الرعب شديدا لدرجة أن الرحلات إلى نيوزيلندا توقفت تماما لعدة سنوات .

لكن المستوطنون عادوا بعد بضعة سنوات بخطط جديدة قائمة على إذكاء روح المنافسة والنفخ في نار الأحقاد بين قبائل الماوري , ولم يكونوا بحاجة لبذل جهود كبيرة لتحقيق هذه الغاية , ذلك أن الأحقاد والمشاكل كانت موجودة أصلا ومتجذرة بين القبائل , لكنهم ساهموا في مد الأطراف المتنازعة بالأسلحة النارية الفتاكة , الأمر الذي أدى إلى مذابح ومجازر وحروب إبادة انخفض جراءها تعداد السكان الأصليين بمقدار الربع , وتمكن البيض من الاستيلاء على مساحات شاسعة من الأراضي بأسعار بخسة نتيجة قيام زعماء الماوري ببيعها للحصول على أسلحة يستخدمونها في صراعاتهم الداخلية .

المشاكل بين البيض والماوري استمرت حتى بعد ضم البلاد للتاج البريطاني عام ١٨٤٠ . كانت هناك حروب عديدة نتيجة استيلاء البيض على المزيد والمزيد من أراضي الماوري . لكن مع نهاية القرن التاسع عشر بدأت الأمور تهدأ وعم السلام البلاد , خصوصا مع حصول الماوري على حق المواطنة الكامل وتقديم تعويضات كبيرة لهم وإعادة مساحات شاسعة من الأراضي إليهم . واليوم يشكل الماوري حوالي ١٥ بالمائة من تعداد سكان نيوزيلندا ولهم أحزابهم ونوابهم في البرلمان .

الموكو

مجتمعات الماوري تميزت بالطبقية , كان هناك زعماء ومحاربين وعبيد , والزعماء فقط وأفراد عائلاتهم كان يحق لهم الحصول على وشوم تعرف بأسم موكو , وهي تكون على شكل خطوط ونقوش ذات تموجات رائعة تمتد على كامل صفحة الوجه , وهي ليست عشوائية , بل أن كل خط فيها يحمل معنى ودلالة , فهذا الخط يعني بأن هذا الشخص هو من عائلة زعيم القبيلة , وذاك الخط يعني بأنه ينتمي للقبيلة الفلانية , والخط الآخر يتحدث عن مآثره وشجاعته الخ .. وعلى هذا الأساس فأن وشم الموكو كان مثابة جواز سفر لحامله , فعن طريقه يتم معرفة مقام الشخص وأهميته والاحترام الذي يجب أن يقدم له . وكانت هذه الوشوم تخضع لقوانين صارمة , فلا يسمح بها إلا لمن يستحقها من علية القوم , وتمنع النساء من وشم وجوههن باستثناء ذوات المقام الرفيع , كزوجة أو أبنه الزعيم , اللواتي كان يسمح لهم بأن يقمن بوشم الجزء السفلي من وجوههن .

وكان من عادة الماوري أنه إذا مات شخص من أصحاب وشوم الموكو , أي الزعماء , يتم قطع الرأس والاحتفاظ به , وكانت لهم طريقة مميزة في تحضير الرؤوس من أجل الحفظ الطويل , فكانوا يقومون أولا بإخراج العين والدماغ ثم يسدون جميع فتحات الرأس من أنف وأذن وفم بواسطة الأربطة والصمغ , بعدها يوضع الرأس في قدر ويترك ليغلي على النار لساعات , ثم يجفف بتعريضه للدخان فوق نار موقدة , وأخيرا

يضعونه في الشمس لعدة أيام حتى يجف تماما , ثم يطلى بزيت سمك القرش .

كانت هذه الطريقة أكثر فعالية في الحفاظ على معالم الوجه وملامحه من الطريقة التي تستخدمها القبائل البدائية في حوض الأمازون بالبرازيل والتي تعرف بأسم الرؤوس المقلصة , حيث يتم تقليص الوجه حتى ليبدو كأنه رأس دمية .

وكان الماوري يحتفظون بالرؤوس المجففة داخل صناديق خشبية مزينة ويتم أخراجها وعرضها في المناسبات الخاصة والطقوس الدينية . ويدعى الرأس المجفف (موكوموكايا) , وهو يحمل قيمة كبيرة لأفراد لقبيلة وعائلة الميت , إذ كانوا يعتقدون بأن هذه الرؤوس لها قوى سحرية خارقة تكاد تقارب تلك التي يمتلكها الأرباب .

الماوري لم يكونوا يحتفظون برؤوس زعمائهم فقط , بل برؤوس أعدائهم أيضا . فبعد كل حرب يتم جمع رؤوس الأعداء كغنائم حرب , أما الأجساد فكثيرا ما يتم أكلها . ولا تجمع سوى تلك الرؤوس التي لديها وشوم الموكو , أي رؤوس الزعماء , يتم تجفيفها ثم تعرض في مكان عام داخل القرية ويتم تحقيرها والسخرية منها .

أحد المبشرين الأوربيين الذي عاش لفترة طويلة مع الماوري يصف مشهد تشفي وسخرية زعيم القبيلة من رأس خصمه الذي تم تجفيفه وعرضه في مكان اجتماع القبيلة . يقول بأن زعيم القبيلة وقف قبالة الرأس وخاطبه قائلا :

"لقد أردت الهرب .. أليس كذلك ؟ .. لكن هراوتي الحجرية أخذتك ! .. وبعد أن تم طبخك أصبحت طعاما لي ! ..

أين هو أباك ؟ .. لقد تم طبخه ..

أين هو أخاك ؟ .. لقد تم أكله ..

أين هي زوجتك ؟ .. ها هي تجلس هناك , زوجة لي ..

أين هم أولادك ؟ ..ها هم هناك , ظهورهم تنوء بحمل الطعام كعبيد لي .. " .

رؤوس الأعداء لم تكن مفيدة فقط لتخليد الانتصارات والانتقاص من الخصوم , كانت لها أيضا أهمية كبيرة لمساهمتها في عقد الصلح وإحلال السلام بين القبائل المتنازعة عن طريقة إعادة الرؤوس لأصحابها .

لاحقا اكتسبت هذه الرؤوس أهمية مضاعفة عندما لاحظ الماوري شدة ولع وشغف الأوربيين بها , فهؤلاء كانوا يرون فيها تحف نادرة ورائعة الجمال , وكانوا مستعدين لشرائها مقابل مبالغ طائلة , لكن ما حاجة الماوري للمال ؟ .. هم لا يريدون مال .. بل يريدون تلك العصي السحرية التي يستخدمها الرجل الأبيض لقتل أعداءه .. أي البنادق .. ومن هنا نشأت واحدة من أبشع أنواع التجارة وأكثرها بربرية ... البنادق مقابل الرؤوس المقطوعة .

كان الطلب كبيرا على الـ (موكوموكايا) في أوروبا وأمريكا , وكان جامعوا التحف ومدراء المتاحف مستعدون لبذل مبالغ طائلة لقاءها . ولهذا

فأن ربابنة السفن التي كانت ترسوا في نيوزيلندا كانوا يطلبونها بشدة , ولم يكن يمانعون مبادلتها بالأسلحة النارية , لا بالعكس كانوا يشجعون على ذلك , فبالنهاية تلك الأسلحة كانت ستستعمل لقتل الماوري بعضهم بعضا .

لكن الماوري واجهوا صعوبة في إشباع الطلب المتزايد على الموكوموكايا , فالحصول على رؤوس الزعماء لم يكن أمرا سهلا ومتاحا دائما , كانت هناك أعداد صغيرة من الرؤوس لم تكن تلبي الطلب المتزايد عليها , ولأن الحاجة هي أم الاختراع , فقد عمد الماوري إلى طريقة جديدة لتوفير الرؤوس , فقاموا بوشم رؤوس العبيد وأسرى الحروب , ثم قطعوها وجففوها وقاموا ببيعها للأوربيين , طبعا لم تكن وشوم حقيقية وذات معنى كتلك التي يوشم بها الزعماء , كانت وشوم عشوائية بلا معنى , لكن الأوربيين لم يكن يهمهم معنى الوشوم أو هوية صاحبها بقدر اهتمامهم بالحصول على رأس بشرية مجففة يعودون بها إلى الديار ليبيعوها لقاء مبلغ محترم أو يعرضوها في منازلهم ويتفاخرون بها .

أحد المؤرخين كتب قائلا بأن التعطش لهذه الرؤوس وصل إلى درجة من الجنون بحيث أن محاربي الماوري كانوا يأتون بأسرى الحرب قبل قتلهم إلى ربابنة السفن , كانوا يدعون للقبطان حرية اختيار الرؤوس التي يريدها , ثم يعودون بالأسرى إلى القرية فيقومون بوشم الرؤوس المطلوبة ثم يقطعونها ويجففونها ويعودون ليسلمونها للقبطان . وطبعا أدى ذلك إلى زيادة الطلب على أسرى الحرب , فكانت القبائل تشن غارات سريعة على القرى والقبائل الأخرى فقط من اجل جمع الرؤوس .

في عام ١٨٣١ تم حضر بيع الرؤوس في نيوزيلندا فأنخفض الطلب عليها بشكل كبير , لكنها أعداد قليلة كانت تباع من حين لآخر لجامعوا التحف مثل الضابط البريطاني هوراتيو روبلي الذي جمع حوالي ٣٥ – ٤٠ رأس على مدى سنوات خدمته في نيوزيلندا , وقام ببيعها لاحقا إلى متحف تاريخ الطبيعة بأمريكا .

هناك اليوم مجموعات متفرقة من رؤوس الموكوموكايا موزعة حول العالم , وقد دأب الماوري على المطالبة بإعادة تلك الرؤوس باعتبار أن عرضها فيه إساءة وعدم احترام كبير لشعب الماوري , وفعلا أعيدت بعض الرؤوس إلى نيوزيلتدا حيث سلمت بعضها لأحفاد أصحاب الرؤوس فيما حفظت مجموعة أخرى في مخازن المتاحف من دون عرضها .

أخيرا .. إذا ما قيض لك يوما عزيزي القارئ أن تزور نيوزيلندا فلا تخشى على رأسك , فقوم الماوري تركوا قطع الرؤوس وأكل لحوم البشر منذ أمد طويل , ونيوزيلندا اليوم واحة للسلام والآمان والتطور .

لغز اختفاء العمالقة ؟

يا طالما سحرتني قصص العمالقة , الغول العملاق في جاك وحبة الفاصوليا , مارد القمقم الجبار في حكايات ألف ليلة وليلة , العمالقة الحديدية في أفلام الخيال العلمي ... إنها كائنات جبارة تبعث في النفس مزيجا من القوة والغرور والغموض , فهذه الأجساد الفارعة تكتنف حتما على قوة هائلة , ومن لا يعشق أن يكون قويا ؟ .. والقوة تتسم غالبا بالغرور , وهو غرور مقبول , فحين تكون بطول مبنى من ثلاث طوابق فأنت شئت أم أبيت مجبر على أن تنظر بتعالي إلى أولئك الصغار الذين يسعون تحت قدميك . هذا الغرور المدجج بالقوة الجبارة هو أيضا مبعث الغموض الذي يكتنف هذه العمالقة , إذ كيف بلغت ما بلغت من الضخامة والطول ؟ .. كيف ظهرت للوجود وكيف تعيش ؟ .. والسؤال الأهم هو لماذا اختفت ؟ .. وهل كان لها وجود أصلا أم أنها لم توجد أبدا سوى في عالم الخرافات والأساطير .

هل نعلم كل شيء ؟

بالطبع لو سألت عالما ماديا متخصصا بالتاريخ أو علم الأحياء عن الغول العملاق القابع فوق شجرة الفاصوليا الهائلة التي نبتت في حديقة جاك لضحك ملء شدقيه وأجابك بثقة : "لا وجود للعمالقة " .

لكن كيف ؟ .. وماذا عن كل ذلك التراث الشعبي والديني عنهم , كيف لا يكون لهم وجود ؟ .. ستسأل حتما , وسيجيبك قائلا : "طيب لو كان

لهم وجود فأين هي بقاياهم ؟ .. آثارهم .. مدنهم .. نحن نعلم بأن الديناصورات هي كائنات عملاقة عاشت على الأرض فعلا قبل ملايين السنين لأن لدينا الآلاف من القطع والهياكل العظمية المتحجرة التي تدل على وجودها , في حين لم نعثر على هيكل عظمي واحد يعود لعملاق " .

كلام علمي سليم , لكن دعنا نسأل ببراءة : هل العلماء يعرفون كل شيء ؟ ..

هم يخبروننا بأن الإنسان الحديث ظهر للوجود وأستعمر هذه الأرض قبل مائتي ألف عام , لكن ما الذي نعرفه عن هذه الآلاف المتمادية من السنين ؟ .. لا شيء تقريبا ! .. جل معرفتنا بالتاريخ البشري تكاد تنحصر في الخمسة آلاف عام الأخيرة , ولنكن أكثر تحديدا , منذ أن تعلم الإنسان الكتابة وترك لنا سجلات عن حياته وعقائده وملوكه وحروبه ومدنه . فالكتابة هي معيار المعرفة , ولهذا السبب فأن العلماء يعرفون الكثير عن جوانب الحياة القديمة في واديي النيل والرافدين لأن الشعوب التي أسست تلكما الحضارتين تركت لنا ملايين لفائف البردي الهيروغليفية وألواح الطين المسمارية إلى درجة أن الكثير منها لازال قابعا في مخازن المتاحف العالمية بانتظار من يفك رموزه ويقرأه . لكن ما الذي نعلمه بالمقابل عن تاريخ بريطانيا قبل الغزو الروماني لها عام ٤٣ ميلادية ؟ ..

لا شيء تقريبا ..

معقول ! .. بريطانيا العظمى , الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس .. تاريخها القديم مجهول ؟ ..

نعم هذا صحيح , والسبب ببساطة هو أن البريطانيون القدماء لم يكونوا مولعين بالكتابة والقراءة ولم يعرفونها أصلا , كانوا أقوما من البرابرة , لم يتركوا لنا أية معلومات عن أنفسهم , ولهذا السبب يقف العلماء اليوم فاغري الأفواه أمام صرح تاريخي عظيم مثل ستونهنج من دون أن يعلموا شيئا عن هوية بنائيه ولماذا تم بناءه أصلا . كل ما لديهم هي روايات تاريخية متضاربة تركها مؤرخو العصور الوسطى ويأبى العلماء تصديقها , من قبيل أن الساحر الشهير مرلين جلب قوما من العمالقة كانوا يسكنون أيرلندا في غابر الزمان وأستخدمهم في نقل الصخور الهائلة وتشييد هذا الصرح المهيب .

أسطورة يصعب تصديقها , أليس كذلك ؟ .. لكن إذا كانت هذه مجرد أساطير فكيف نفسر بناء صروح عظيمة مثل ستونهنج والأهرامات بواسطة عتلات ورافعات خشبية متهالكة وبسيطة ؟ .. ألا يبدو ذلك مستحيلا ؟ .

في بعلبك اللبنانية هناك صخرة عظيمة منحوتة من الحجر تدعى (صخرة المرأة الحامل) , هذه الصخرة قطعت من مقالع الحجر في جنوب المدينة وصقلت جوانبها بعناية , يبلغ طولها ٢١ مترا في حين يقدر وزناها بحوالي ١٥٠٠ طن . إنها صخرة عملاقة بكل معنى الكلمة , لكن حجمها هو ليس مدعاة الغموض الوحيد فيها , فالعلماء لا يعلمون من قام بقطعها وكيف أستطاع تحريكها ونقلها , المفروض أنها هيئت لتكون جزءا من المعابد الفاخرة التي شيدها الرومان في أرجاء المدينة , لكن العلماء اليوم يعتقدون بأن عمرها يعود إلى حقبة أقدم من عهد الرومان , ربما في زمن الاسكندر المقدوني , والمشكلة هنا أنهم لا يعلمون من كان يقطن المدينة

آنذاك , ذلك أن بعلبك برزت واشتهرت بعد الاسكندر حيث عرفت بأسم هليوبوليس , أي مدينة الشمس , أما قبل ذلك فيحيط الغموض تاريخها , لكن المعروف بأن المنطقة كانت قديما موطنا للفينيقيين والكنعانيين , ودليل ذلك أن أسمها هو من أصل سامي (بعل = الرب أو السيد) , وبالتالي فليس من المستبعد أن يكون أصحاب الصخرة هم من الكنعانيين , والكتاب المقدس يخبرنا بأن بعضا من أولئك الكنعانيين كانوا عمالقة , مما يتركنا أمام فرضيتين , أما أن من قطعوا الصخرة وحركوها كانوا يمتلكون معدات ورافعات متطورة شبيهة بالتي نملكها اليوم , وذلك لا يستقيم مع أزاميل النحاس وعتلات الخشب التي أمتلكها القدماء , وأما أن من قطعوا الصخرة وحركوها كانوا يمتلكون قوة بدنية هائلة , بعبارة أدق كانوا عمالقة , ولهذا لم يجدوا صعوبة كبيرة في زحزحة ورفع هذه الصخرة الهائلة .

قد يقول قائل بأن هذا الكلام هو محض هراء .. مجرد أساطير الأولين ..

ربما ..

لكن ألم تكن طروادة مجرد أسطورة سردها علينا هوميروس في أشعاره التي سطرها في ملحمته الشهيرة الإلياذة , وكان العلماء يقابلون القول بواقعية المدينة بابتسامة ساخرة , حتى ظهر لنا فجأة تاجر ألماني مولع بالآثار يدعى هاينريش شليمان , ذهب برفقة زوجته إلى تركيا وأستخرج لنا بقايا مدينة طروادة من تحت التراب عام ١٨٧٠ مسترشدا بأشعار الالياذة التي عدها الجميع لقرون متمادية مجرد خرافة ! .

وألم تكن قصص مدن الأنكا الضائعة خرافة أيضا , حتى زار مستكشف أمريكي مغمور يدعى هيرام بنغهام جبال الأنديز في بيرو عام ١٩١١ , هناك أرشده طفل من أحفاد الأنكا , في الحادية عشر من عمره , إلى أطلال مدينة عظيمة قابعة فوق السحاب , ماشو بيشو , المدينة المقدسة الضائعة التي صعق العلماء باكتشافها , لقد كانوا يسخرون من وجودها ويعتبرون الكلام عنها مجرد خرافة , فيما كانت هي لأربعة قرون تشمخ بصروحها الحجرية العظيمة فوق الجبل وتسخر من جهلهم وغرورهم .

أن هذه الأمثلة البسيطة توضح لنا بجلاء أن العلماء لا يعلمون كل شيء , وأن تاريخ البشر يغص بالفجوات الداكنة والحلقات المفقودة , الفراعنة مثلا تركوا لنا سجلا حافلا عن كل شيء , آلهتهم , كهنتهم , حياتهم , طقوسهم , مواسم حصادهم , فيضانات نيلهم , ضرائبهم , حروبهم .. ذكروا لنا حتى أسم الماشطة التي كانت تمشط شعر الملكة ! , لكنهم تغافلوا أو تعمدوا عدم التطرق لأهم وأعظم منجزاتهم .. الأهرامات .

صحيح أن هناك سجلات للعمال الذين ساهموا في تشييد الأهرامات , وكذلك تم اكتشاف مساكن تعود للعمال والمهندسين القدماء في الجيزة , لكن المحير هو أن الفراعنة لم يخبرونا أبدا كيف بنو الأهرامات , لا يوجد نقش أو رسم يصور العمال وهم يشيدون الهرم ويضعون الصخور الواحدة فوق الأخرى . ألا يبدو ذلك غريبا , خصوصا حين نعلم بأن المصريين القدماء كانوا مولعين بنقش وكتابة كل شيء عن تفاصيل حضارتهم , فكيف نسوا أن يحدثونا عن أهم حدث في تاريخ المملكة القديمة ! .. ولماذا

تركونا نتساءل بدهشة عن كيفية رفع هذه الصخور العظيمة إلى ارتفاعات شاهقة من دون رافعات حديثة ؟ .. ونحن هنا نتحدث عن مبنى بارتفاع يناهز المائة والأربعين مترا , أي ناطحة سحاب بارتفاع ثمان وخمسون طابقا , وعن صخور يصل معدل وزنها إلى ثلاثة أطنان , ناهيك عن أخرى , كتلك التي تغطي حجرة الملك , يصل وزنها إلى ما بين ٧٠ – ٨٠ طنا , فكيف رفعوها إلى هناك بواسطة حبال من القنب والكتان وبكرات من الخشب !! .

هل كان لدى المهندسون الفراعنة وسائل وأدوات وآلات نجهلها نحن اليوم , ماذا لو كانوا قد استخدموا قوما من العمالقة لحمل الصخور ووضعها في مكانها المناسب ؟ .. ألا يبدو ذلك تفسيرا منطقيا ؟! .. أم أنه هو أيضا .. مجرد هراء .

عمالقة العصور القديمة

الإغريق تركوا لنا أساطير كثيرة , واحدة منها جاءت على لسان الفيلسوف الشهير أفلاطون , تحدث فيها عن جزيرة عظيمة ذات سهول واسعة وجبال شاهقة تقبع في وسط المحيط الأطلسي , أهلها ذوو بأس وحكمة , أمتد سلطانهم إلى أقاصي الأرض الأربعة , لكن الآلهة سخطت على هذه الجزيرة لسبب ما فأرسلتها بمن عليها إلى قاع المحيط ولم ينجو سوى قليل من أهلها .

قصة القارة المفقودة لم تكن من وحي خيال أفلاطون , فهو سمعها نقلا عن كهنة مصر القدماء , أولئك الفلاسفة والسحرة العظام الذين حدثوا

الناس بما كان وسيكون . قالوا بأن شعب الجزيرة كان من العمالقة , يصل طول الواحد منهم إلى ضعف قامة الإنسان العادي وأنهم تفرقوا في الأرض بعد غرق قارتهم فأصبحوا ملوكا وآلهة وعلموا الناس الكتابة والمعمار وأرسوا أسس الحضارة . ولعل هذا يفسر لنا كيف ظهرت الحضارة فجأة في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد بعد أكثر من مائتي ألف عام من حياة الكهف والبربرية والظلام .

فجأة خلال خمسة آلاف عام فقط تطور الإنسان وصولا إلى مرحلة إرسال مركبات فضائية للقمر والمريخ , بينما لم يتطور قيد أنملة خلال مائتي ألف عام !!! . أليس ذلك محيرا , أليس مدعاة للظن بأن شيئا عظيما حدث قبل خمسة آلاف عام نقل الإنسان من مرحلة الكهف إلى مرحلة الحضارة , نقلة نوعية غيرت كل شيء إلى الأبد , لكنها لم تحدث من تلقاء نفسها , بل تمت على يد معلمين عظماء نقلوا الحكمة إلى البشر وأخذوا بيدهم نحو دروب العلم والحضارة , وعرفانا بالجميل , قام البشر برسم أولئك الأساتذة الحكماء على جدران قصورهم ومعابدهم , صوروهم كملوك وآلهة , وبينوا لنا بجلاء بأنهم ليسوا كالبشر , فهم أطول قامة وأضخم جثة بكثير .. أنهم عمالقة القارة المفقودة الذين تركوا أثارهم في كل جزء من أجزاء المعمورة ..

ومرة أخرى قد يقول البعض – وأنا منهم – أن هذا الكلام مجرد هراء .. لكن إذا كان كذلك , فبماذا نفسر هذا التراث المشترك عن العمالقة لدى جميع أمم الأرض ؟ ..

في اليابان لديهم الـــ أوني ..

في الهند لديهم الـــ دايتي ..

في الدول الاسكندنافية لديهم الـــ يوتون ..

في الباسك لديهم الـــ جنتل ..

في الفلبين لديهم الـــ كابري ..

في إيرلندا لديهم الـــ فوموير ..

في اليونان لديهم الـــ تيتان ..

وهناك أسماء كثيرة أخرى عفونا عن ذكرها خشية التطويل . خلاصة القول هو أن العمالقة موجودين في فلكلور وتراث جميع الشعوب . ولا تخلو الكتب الدينية أيضا من ذكرهم , فالعهد القديم من الكتاب المقدس يخبرنا عن الـــ نفيلم , وهم أقوام من العمالقة عاشوا على الأرض قبل طوفان نوح . وهناك أيضا الكنعانيين , قيل أنهم عمالقة , أو ربما بعض قبائلهم , ولعل الملك جالوت هو أشهر عمالقة الكنعانيين , كان ضخم الجثة يتراوح طوله بين المترين والثلاثة . وقد قتله النبي داود بعد أن رماه بحجر من مقلاعه , والقصة مشهورة معروفة .

وقد كتب المؤرخ اليهودي فلافيوس جوزيفيوس في القرن الأول الميلادي قائلا بأن الأموريين كانوا من العمالقة , والأموريون هم أقوام سامية استوطنت شمال الجزيرة العربية منذ الألف الثالث قبل الميلاد واختلط الكنعانيين معهم لاحقا . ويقول فلافيوس أن الناس في زمانه كانوا

يعثرون على هياكل عظمية عملاقة تعود لهذا الشعب الجبار المنقرض الذي يصفه كالآتي :

"كانت أجسادهم كبيرة جدا , وملامحهم تختلف تماما عن غيرهم من الناس , كانت رؤيتهم تثير العجب , وأصواتهم تثير الفزع . ما زالت عظام أولئك العمالقة تظهر في أيامنا هذه " .

النصوص العربية القديمة تخبرنا أيضا أن الكنعانيين كانوا عمالقة , وتنسبهم لقبيلة أو شعب قديم يدعى العماليق , من العرب البائدة , انقرضوا عن بكرة أبيهم نتيجة اختلاطهم بغيرهم من القبائل والشعوب , وقيل أن البعض منهم كانوا يسكنون يثرب , وأن عدة نفر منهم كانوا ما يزالون على قيد الحياة عند البعثة النبوية , وكانوا يوصفون بالقامة الفارعة الطويلة .

والعرب البائدة هم أقوام وشعوب سكنوا الجزيرة العربية في غابر الزمان , ومعلوم من أسمهم أنهم انقرضوا ولم يبقى لهم عقب , أما لهجرتهم لأماكن أخرى أو لكارثة حلت بهم أو لاختلاطهم وذوبانهم مع القبائل الأخرى .

وأشهر الشعوب البائدة هي : ثمود وعاد وجديس وطسم وجرهم وأميم وعبيل .

وقد ورد ذكر عاد وثمود في القرآن الكريم في أكثر من موضع . في سورة الأعراف يخاطب النبي هود قومه من عاد قائلا :

"وَاذكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ -٦٩-" .

وبحسب معظم كتب التفسير فأن البسطة في الخلق معناها زيادة في الأجسام والطول , ولهذا قيل أن عاد كانوا من العمالقة , وكانوا ذوو بأس شديد , شيدوا الصروح العظيمة التي ليس لها مثيل , وورد ذكر ذلك في سورة الفجر :

"أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ -٦- إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ -٧- الّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ -٨-".

وكانت مساكن عاد في جنوب الجزيرة العربية , في منطقة ما بين اليمن وسلطنة عمان , ربما شمال حضرموت , وكانوا في غنى وثراء فاحش نتيجة تحكمهم بتجارة اللبان والصمغ العربي , كانوا يصدرون بضائعهم إلى الشام و مصر عبر طرق تجارية تمر بصحراء الربع الخالي , ولهم عدة مدن كبيرة أشهرها عبار , التي عرفت أيضا بـــ ارم ذات العماد , أي ذات الألف عمود , و قد ورد ذكرها في الكتابات اليمنية القديمة وبعض المصادر الإغريقية مما يؤكد صحة وجودها , لكنها مدينة ضائعة لم يعثر عليها المنقبون أبدا , يقال أنها تقبع تحت ملايين الأطنان من رمال صحراء الربع الخالي .

أما ثمود فقد استوطنوا شمال الجزيرة العربية , تحديدا في منطقة مدائن صالح في محافظة العلا بالمملكة العربية السعودية , وآثارهم المنحوتة في الحجر مازالت ماثلة للعيان حتى يومنا هذا وتدل على ثرائهم

وعظمة ملكهم . وقد ورد ذكرهم في العديد من المصادر التاريخية القديمة , الأشورية والإغريقية . وتذهب بعض المصادر العربية القديمة إلى أن قوم ثمود كانوا من العمالقة أيضا .

جدير بالذكر أن قولنا بأن فلان أمة أو قبيلة هي من العمالقة لا يعني بالضرورة أنهم كانوا يناطحون السحاب بقامتهم كما في أسطورة عوج بن عنق الشهيرة , الذي قيل بأنه نجا من طوفان نوح ولم يبلغ الماء ركبته , وأنه كان يحتجز السحاب في السماء فيشرب منه , ويأخذ الحوت من البحر فيرفعه بيده إلى الشمس فيشويه ويأكله ! . وإنما المقصود بالعمالقة هو أنهم كانوا أطول وأضخم من غيرهم من البشر بشكل واضح لا يقبل اللبس , والأرجح برأيي هو أن طولهم كان يتراوح بين المترين والثلاثة أمتار , وأن الأمر كان متوارث بينهم جينيا , أي كانوا يتشاطرون جينات خاصة تؤدي للعملقة , وهي حالة موجودة حتى في أيامنا هذه وسنأتي على ذكرها لاحقا .

لماذا لم نعثر على عظام عملاق ؟!

طيب إذا كان العملاقة موجودين بهذه الكثرة في العصور القديمة , فلماذا لم نجد أي بقايا عظمية تدل عليهم ؟ .. سؤال يطرح نفسه بقوة .

والجواب يمكن تلخيصه بشقين , الأول هو من قال بأننا لم نعثر على بقايا عظيمة ؟ .. والثاني هو نظرية المؤامرة .

ودعونا نتعرف على الشق الأول , فمن حين لآخر تطالعنا مواقع الكترونية على الانترنت بأخبار وصور تزعم بأن المنقبين عثروا على

هياكل عظمية تعود لبشر عمالقة , ومن المعلوم بالدليل أن أغلب تلك الصور مزيفة , تم تركيبها ودمجها بحرفية عالية بواسطة برامج تعديل الصور مثل الفوتوشوب وغيره . لكن من بين مئات القصص والصور المزيفة التي تتحدث عن اكتشاف هياكل عملاقة هناك قصتين أو ثلاثة تتسم بالواقعية وتستحق أن نتوقف عندها وسأوردها لكم بالتفصيل لأهميتها في فهم الشق الثاني من الجواب .

القصة الأولى من فرنسا ..

في شتاء عام ١٨٩٠ كان البروفيسور جورج دي لابوج ينقب في مقبرة قديمة تعود للعهد البرونزي بمنطقة كاستيلنو في جنوب فرنسا . تربة المقبرة كانت تضم عدة طبقات مما يدل على أن المنطقة مسكونة بالبشر منذ أمد بعيد . وفي قاع تلك الطبقات , في تربة تعود للعصر الحجري المتأخر , عثر البروفيسور على شيء أثار حيرته وذهوله . لقد استخرج من باطن الأرض ثلاثة عظام , كان واضحا أنها تعود لشخص واحد , وهي عبارة عن أجزاء من عظمة الساق والفخذ والعضد , وكانت من الضخامة بمكان بحيث يصعب تصور أنها تعود لإنسان بحجم طبيعي .

بعد دراسة متأنية توصل البروفيسور دي لابوج إلى أن صاحب هذه العظام كان ضخما وطويلا بصورة لا تصدق , يصل طول قامته إلى ثلاثة أمتار ونصف , ويزن مئات الكيلوغرامات .

للتأكد تم عرض العظام على عدد من الأساتذة في مجال الطب وعلم الإنسان وجميعهم توصلوا إلى استنتاج مشابه لذلك الذي توصل إليه

البروفيسور دي لابوج , أكدوا أنها عظام حقيقية تعود لإنسان عملاق . وقد كتبت مجلة الطبيعة الفرنسية بحثا كاملا عن تلك العظام في أحد أعدادها الصادرة آنذاك ونشرت صورها . وفي عام ١٨٩٤ تم إرسال العظام إلى جامعة باريس من اجل دراسة مستفيضة عنها , وهنا حدث شيء محير , إذ اختفت العظام ولم يرها أحد بعد ذلك ! .

قضية عملاق دي كاستيلنو تعد واحدة من القضايا النادرة التي يمكن القبول بمصداقيتها نظرا لأن جميع من تعاملوا معها كانوا أناس أكاديميون وعلماء مرموقون . لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو هل كانت هذه العظام تعود لحالة فردية نتيجة خلل جيني أم أنها تعود لقبيلة أو جنس من البشر العمالقة سكنوا فرنسا في تلك الحقبة السحيقة .

البروفيسور دي لابوج كتب لاحقا بأنه عثر في نفس الطبقة على قحف صبي عملاق , وقدر أن يكون طول الصبي يتجاوز المتران ! . وبعد ذلك بعدة أشهر , في منطقة تبعد حوالي ثلاثة أميال إلى الغرب من مقبرة دي كاستيلنو عثر المنقبون على جمجمة عملاقة تعود لإنسان قدر العلماء طوله بحوالي ٤ أمتار .

ومرة أخرى قاموا بإرسال القحف والجمجمة إلى جامعة باريس .. ومن جديد ضاع أثرها !.

قصتنا الثانية من أمريكا ..

في الغرب المتوحش الأمريكي توجد منطقة جافة تعرف بأسم الحوض العظيم , هناك عاش هنود البايوت لآلاف السنين وتدالوا حكاية قديمة عن قبيلة منقرضة كانت تنافسهم السيطرة على المنطقة في غابر الأزمان , تلك القبيلة كانت تدعى "سي تي كا" , وكان أفرادها يعيشون في كهف كبير , كانوا من العمالقة , أجسامهم ضخمة وقامتهم فارعة , ويتميزون بشعر أحمر ناري .

أكثر ما يخيف في رجال تلك القبيلة هو أنهم كانوا من أكلة لحوم البشر , لم يكونوا يتوانون عن التهام أي هندي من هنود البايوت يقع في أيديهم , وكانت الحرب سجال بين الطرفين حتى قرر البايوت أن يضعوا حدا لهذا العدو الغاشم الجبار , فتحالفوا مع غيرهم من القبائل وخاضوا معركة فاصلة مع العمالقة كانت الغلبة فيها للكثرة والعدد على حساب القوة والضخامة , ولم ينجو من تلك المعركة الدامية سوى أفراد قليلين من العمالقة انسحبوا إلى كهفهم واختبئوا هناك , لكن البايوت وحلفائهم لم يتركوهم , كانوا قد عقدوا العزم على استئصال عدوهم بشكل كامل , فلحقوا بالعمالقة إلى كهفهم المظلم وصرخوا فيهم طالبين منهم الخروج , لكن العمالقة رفضوا الخروج وتحصنوا بكهفهم , فقام البايوت بجمع الحطب ووضعوه عند مدخل الكهف وأضرموا فيه النار فأنتشر الدخان سريعا إلى داخل الكهف . حاول بعض العمالقة النجاة من الموت اختناقا فخرجوا من الكهف لتتلقاهم سهام البايوت القاتلة , أما الباقين ففضلوا أن يختنقوا بالدخان حتى الموت على مواجهة السهام الفتاكة . وهكذا قضي على جميع أفراد قبيلة العمالقة .. وإلى الأبد .

ولقرون طويلة لم تكن حكاية العمالقة آكلي لحوم البشر سوى قصة مرعبة يستمتع الناس بسردها , لكن هنود البايوت كان يصرون على كونها حقيقية . وفي كتاب عن تاريخ القبيلة زعمت ابنة أحد زعماء البايوت بأن لديها خصلة شعر حمراء تعود لأحد أولئك الأعداء العمالقة , قالت بأنهم يتوارثونها أبا عن جد كدليل على حقيقة انتصارهم التاريخي على أعدائهم العمالقة .

كهف العمالقة مازال موجودا حتى يومنا هذا , يعرف بأسم كهف لوفلوك في نيفادا , يقول العلماء أنه كان مسكونا بالبشر منذ العصر الحجري وحتى ألف عام مضت , بعد ذلك ظل الكهف مهجورا لا يدخله سوى أسراب الخفافيش التي اتخذت من سقفه مسكنا لها , وعلى مدى قرون تراكم براز هذه الخفافيش حتى غطى أرضية الكهف وأرتفع لعدة أمتار .

وفي عام ١٩١١ قررت إحدى شركات السماد الاستفادة من براز الخفافيش في الكهف , فالمعروف أن براز الخفافيش هو من أفضل أنواع الأسمدة , لذلك تم استئجار رجلين لجمع البراز من الكهف ومن ثم إرساله إلى مصنع الشركة . ولعدة أشهر جمع الرجلان مئات الأطنان من البراز , ومع كل طن يخرج كانا يقتربان أكثر من قاع الكهف , وفي أحد الأيام بينما كانا يعملان عثرا على جثة مدفونة تحت البراز , ثم عثروا على جثة ثانية وثالثة ورابعة ... المذهل أن هذه الجثث كانت بأحجام عملاقة وذات شعر أحمر . أي نفس أوصاف البايوت لأعدائهم العمالقة .

لسوء الحظ لم يكن الرجلان مهتمان كثيرا بالجثث , كانا يريدان العثور على أشياء ثمينة , لذلك تم رمي الجثث بعيدا بدون اعتناء فتفسخت

وضاعت , لكن أنباء الاكتشاف انتشرت سريعا , وفي عام ١٩١٢ أرسل متحف الانتروبولجي (علم الإنسان) في جامعة كاليفورنيا أحد موظفيه لينقذ ما يستطيع إنقاذه من البقايا والجثث التي تم العثور عليها في الكهف , لكن عمل هذا الموظف كان رديئا جدا ولم يستطع إنقاذ أي شيء .

بعد سنوات أرسلت بعثة أخرى , وتلتها بعثات , وتم الكشف عن آلاف القطع القديمة التي يعود بعضها إلى ٢٠٠٠ عام قبل الميلاد , ومن بين ما عثر عليه هو جماجم عملاقة أرسلت إلى متحف هومبولت في بلدة ينيموكا في نيفادا حيث وضعت في قبو المتحف وكانت تعرض بشكل محدود لبعض الزوار فقط . صور هذه الجماجم موجودة على النت , ويقول البعض بأن حجمها دليل على أن أصحابها كانوا بطول ثلاثة أمتار وأكثر . في حين أن المتحف وفي صفحته الرسمية على الانترنت – تجدها ضمن المصادر – يقول بأن حجم الجماجم طبيعي لكنها ذات سمات تتصف بالقوة والصلابة .

وبغض النظر عما يقوله المتحف , فمع ازدياد الاهتمام بهذه الجماجم مؤخرا اتخذت إدارة المتحف خطوة مريبة ومحيرة حيث قامت برفع الجماجم من العرض ومنعت رؤيتها تماما . الإشاعات تقول بأن رفع الجماجم من العرض سبقه قدوم رجال غامضين يستقلون سيارات سوداء مظللة , كان من الواضح أنهم أشخاص مهمين ذوو نفوذ , ويقال بأنهم ضغطوا على أدارة المتحف لكي ترفع الجماجم من العرض , وهناك من يزعم أنهم اجبروا المتحف على تدمير الجماجم . أما أدارة المتحف فتقول عبر صفحتها الرسمية الموجودة على الانترنت بأنها حجبت الجماجم بناء

على طلب من جمعيات السكان الأصليين (الهنود الحمر) التي اعتبرت أن عرض الجماجم هو بمثابة تدنيس لحرمة أجدادهم .

نظرية المؤامرة

أن ضياع الأدلة واختفاءها في القصص التي ذكرناها آنفا دفع البعض لطرح نظرية المؤامرة . وبحسب أصحاب هذه النظرية فأن هناك أدلة تاريخية كثيرة ومؤكدة تثبت وجود جنس من العمالقة عاشوا على الأرض في حقب تاريخية مختلفة . وأن العلماء يكتشفون كل عام المزيد من هذه الأدلة حول العالم . لكن بالمقابل هناك جهات وجمعيات ومنظمات سرية ذات نفوذ كبير تسعى للتكتم والتستر على هذه الاكتشافات بكل وسيلة متاحة لديها , وبعض هذه الوسائل قد تصل إلى اغتيال العلماء وتدمير مكتشفاتهم الأثرية , وفي حال فشلوا في ذلك , أي في تكميم أفواه العلماء وتدمير الآثار فأنهم عوضا عن ذلك يبدءون بشن حملة شرسة للتشكيك في مصداقية تلك الاكتشافات والترويج لكونها مزيفة .

إذن لماذا يفعلون ذلك ؟ .. ما الغرض ؟ ..

بحسب أصحاب نظرية المؤامرة فأن تلك الجهات والمنظمات ذات النفوذ عملت لقرون على تزوير التاريخ وإخفاء الحقائق عن الناس من اجل أن تتمكن من نشر أفكارها وأجندتها وتنفيذ مخططاتها , خصوصا فيما يتعلق بالأمور الروحية والعقائدية , فقد دأبوا على تشكيك الناس بمعتقداتهم ودفعهم لقبول الرأي القائل بأن الأديان هي مجرد أساطير وأكاذيب وأن

جميع ما مذكور في الكتب المقدسة حول المعجزات والطوفان والأمم السابقة الخ .. هي مجرد خرافات لا أساس من الصحة لها . وبالمحصلة تعزيز وحماية النظام العالمي القائم على المادية والعلمانية والرأسمالية وضمان استمراره للحفاظ على نفوذ وثراء أقلية من البشر تتحكم بالعالم من خلف الستار .

لكن نظرية المؤامرة لا تحظى بقبول الجميع , هناك بالمقابل جهات علمية تحاول إعطاء تفسيرات مقنعة لكل التراث الشعبي والديني عن العمالقة , ومن هذه التفسيرات :

١ – بالنسبة لحديث الناس حول العثور على بقايا وهياكل عظيمة تعود لعملاقة فأن المشكلة الرئيسية هي أن أغلب الناس ليس بإمكانه التفريق ما بين العظام البشرية والحيوانية , فقد يعثر أحدهم على عظم فخذ ضخم جدا مما يدفعه للاعتقاد بأنه يعود لعملاق في حين أنه مجرد فخذ بقرة ! , حتى المنقبين والباحثين الأكاديميين قد يقعون في هذا الخطأ , ولهذا يتم إرسال عينة من العظم إلى المختبر للتأكد من كونها بشرية .
من جهة أخرى فأن الناس في العصور القديمة كانوا يعثرون على عظام ضخمة لديناصورات وماموث , ولأنهم في ذلك الزمان لم يكونوا يعرفون شيئا عن هذه الحيوانات المنقرضة , لذلك كانوا يعتقدون خطأ بأنها تعود لعمالقة من البشر .

٢ – العمالقة كانوا موجودين حتما في العصر القديم كما هم موجودون في العصر الحديث , والمقصود بالعمالقة هنا هم البشر الذين

يتراوح طولهم بين المترين والثلاثة , وهي حالات قد تحدث بسبب مشاكل في إفرازات الغدد المتحكمة بنمو الجسم . وقد يحدث أحيانا عند نبش المقابر القديمة أو الكهوف المهجورة أن يتم العثور على بقايا عظمية لهؤلاء البشر طوال القامة فيظن الناس أنها تعود لجنس من العمالقة عاش على الأرض في الماضي السحيق .

طول القامة أو قصرها يمكن أيضا أن يكون وراثيا , فهناك قبائل كاملة من الأقزام تعيش في أفريقيا وآسيا وغابات الأمازون . وهناك أيضا قبائل تتصف بطول القامة , في أمريكا مثلا تسببت قبيلة الكارانكاوا بالصدمة للمستكشفين الأوربيين لأن رجال هذه القبيلة كانوا يتسمون بقامة فارعة تتجاوز المترين , كانوا مقاتلين أشداء , وأكلة لحوم البشر , وكان طول القامة متوارثا فيهم . بناء على ذلك فمن المؤكد أنه خلال التاريخ كان هناك بشر قصار جدا بحيث يطلق عليهم أقزام وبشر طوال جدا بحيث يطلق عليهم عمالقة , وهؤلاء العمالقة كانوا بقامة تتراوح بين المترين والثلاثة , أما أطول من ذلك , أي الزعم بوجود أشخاص بطول أربعة وخمسة وعشرة أمتار ... فيبدو أقرب للخيال منه إلى الحقيقة , ذلك أن أي شخص بقامة تتجاوز الثلاثة أمتار سيجد صعوبة كبيرة في المشي والتغلب على مشاكل الجاذبية , فالطول الفارع غالبا ما يكون رديفا لأمراض عديدة , وغالبا ما ينتهي بالشلل والموت المبكر .

عمالقة العصور الحديثة

إذا كنا قد افتتحنا هذا المقال بالحديث عن عمالقة العصور القديمة فالأفضل أن ننهيه بالتطرق إلى عمالقة العصور الحديثة , وبسبب العدد الكبير من العمالقة الذين ظهروا في العصر الحديث فسنكتفي بأخذ عينة صغيرة منهم تتضمن الأكثر طولا وشهرة .

العملاق اللطيف

في الأفلام وقصص الخيال غالبا ما يكون العملاق مثالا للؤم والعجرفة , لكن العملاق روبرت وادلو كان مثالا للطيبة والتواضع حتى أنهم أطلقوا عليه أسم "العملاق اللطيف" . روبرت ولد عام ١٩١٨ في مدينة ألتون بولاية إلينوي , الابن البكر لأبيه , كان طوله طبيعيا عند ولادته , لكن سرعان ما لاحظت عائلته بأنه ينمو بوتيرة متسارعة حتى أنه أصبح بطول مترا ووزن ٢٠ كغم في سن ١١ شهر وبدأ يمشي .

في الثامنة أصبح أطول من أبيه (١,٨٢ متر) , وصار يتمتع بقوة هائلة بحيث أنه كان يرفع أبيه وهو جالس على كرسيه حاملا إياه من الطابق الأرضي إلى الطابق العلوي من منزلهم .

سرعان ما بدأ روبرت يسترعي انتباه الجميع , أينما ظهر كانت الأنظار تتوجه صوبه , ومع هذا فقد حاول أن يعيش حياة طبيعية فدرس وأجتهد وأكمل دراسته الثانوية ودخل الجامعة ليدرس القانون , وكانت له هوايات بسيطة مثل جمع الطوابع والمشاركة في مخيمات الكشافة . لكن

استمرار النمو لدى روبرت تسبب له بالتدريج بمشاكل جمة وأجبره على التخلي عن أحلامه وآماله . كان قد أصبح بطول (٢,٥٤ متر) في سن السابعة عشر , وكانت هذا الطول له متطلبات خاصة من ملابس وأحذية وسرير وكرسي يلاءم حجمه , وكان بحاجة أيضا لدعائم حديدية لمساعدة رجليه على تحمل وزنه الثقيل .. ولأن هذه الأمور كانت تكلف أموالا طائلة لذلك بدأ في الظهور بإعلانات لشركات مقابل توفير تلك المتطلبات , فمثلا كان يظهر في إعلان لشركة أحذية مقابل أن يصنعوا له حذاء خاصا لقدمه الكبيرة جدا . ولاحقا بدأ روبرت يظهر في عروض السيرك والمهرجانات , وذهب في جولتين برفقة والده حول الولايات المتحدة , تجولا عبر المدن والبلدات , وكان أبيه قد رفع مقعد الراكب الأمامي في سيارته لكي يتيح لروبرت الجلوس براحة في المقعد الخلفي ويمد رجليه . ومما يثير الإعجاب هو أن روبرت خلال جميع تلك العروض والمهرجانات لم يتخلى أبدا عن أناقته وحسن هندامه .

في العام ١٩٣٩ أصبح روبرت أطول رجل في العالم رسميا . ومع استمرار نموه بدأ يواجه صعوبات كبيرة في المشي مما أضطره لاستعمال عصى .

أثناء ظهوره في احد المهرجانات عام ١٩٤٠ تعرض روبرت لجرح في رجله بسبب تركيب خاطئ للدعامة الحديدية , ولسوء الحظ فقد تلوث الجرح وأدى إلى التهاب خطير , وقد حاول الأطباء إنقاذ روبرت عن طريق تبديل دمه , لكن حرارته استمرت بالارتفاع حتى وافته المنية أثناء نومه في ١٥ تموز / يوليو عام ١٩٤٠ عن عمر يناهز ٢٢ عاما .

روبرت كان محبوبا من قبل الجميع , وقد ألهمت حياته القصيرة الكثيرين بسبب محاولاته الحثيثة على التكيف مع وضعه والعيش كإنسان عادي . عند وفاته قامت جميع المتاجر والدكاكين بإغلاق أبوابها في مدينة ألتون احتراما له , وحضر جنازته ٤٠ ألف إنسان , وقد كان تابوته من الضخامة بحيث احتاج لقرابة عشرين شخص لرفعه . , وهناك اليوم تماثيل عديدة مبثوثة في أرجاء الولايات المتحدة تخليدا لذكراه .

طول روبرت بلغ قبيل موته (٢,٧٢ متر) ووزنه (١٩٩ كغم) . ومازال حتى يومنا هذا يحتفظ بالرقم العالمي القياسي كأطول رجل في العالم . جدير بالذكر أن النمو الغير طبيعي والمستمر لروبرت سببه خلل في إفرازات الغدة النخامية , وهذه الحالة يمكن معالجتها وإيقافها اليوم , لكن في العشرينات من القرن الماضي لم يكن لها علاج .

روبرت كان له شقيقتان وشقيقان وجميعهم كانوا بقامة عادية . أمه أيضا كانت سيدة قصيرة القامة وكان هو متعلق بها بشدة .

العملاق الروسي

في إحدى قرى بيلاروسيا النائية ولد فيدور ماخنوف عام ١٨٧٨ , وتوفيت أمه أثناء ولادته فعاش يتيما مع جديه فيما تزوج والده من امرأة أخرى .

في طفولته كان فيدور طفلا ذو قامة عادية , لكن في سن الثامنة بدأ ينمو بصورة غير طبيعية , وأصبح ينام طوال النهار لأيام عديدة . وعند

بلوغه العاشرة أخذه والده الفلاح لكي يساعده في الزراعة , وكان الأب قد أنجب أطفالا آخرين وكلهم كانوا بقامة عادية .

في العاشرة أصبح طول فيدور مترين , كان عملاقا بعقل صبي صغير , أحب اللعب مع الأطفال وكان ذو روح طيبة , لكن صاحب الأرض التي يعمل فيها والده شاهده فأعجب بطوله وضخامته وطلب من والده أن يرسله ليعمل لديه , وكان علمه يتمثل في إبعاد الصخور التي تعيق عمل طاحونة مائية , كان عملا شاقا ترك أثرا سيئا على صحة فيدور لما تبقى من حياته بسبب برودة مياه النهر التي كان يجب أن يعمل فيها لساعات طويلة كل يوم .

في السادسة عشر بلغ طول فيدور (٢,٥٤) متر , فأضطر أبيه إلى رفع مستوى سقف كوخه , وطلب من حداد القرية أن يصنع سريرا خاصا لأبنه , وحين انتهى الحداد من صنع السرير كان فيدور قد تجاوز في طوله طول السرير .

الحدث الذي غير حياة فيدور تمثل في رؤيته من قبل صاحب سيرك ألماني , الرجل أصيب بالذهول لطول الفتى وضخامة جثته فعرض على والده أن يأخذه معه لكي يعمل في السيرك , ووافق الوالد الذي كان قد ضاق ذرعا بمصاريف ابنه بسبب متطلباته الخاصة .

صاحب السيرك الألماني اخذ فيدور إلى ألمانيا , وضع له معلمين خصوصيين ليعلموه القراءة والكتابة ووقع معه عقدا للعمل في السيرك مقابل راتب مجزي , ولمدة تسعة سنوات تنقل فيدور ما بين المهرجانات

وعروض السيرك , كانت الفقرة التي يقدمها تثير حماس ودهشة الجمهور , وخلال سنين قليلة جمع ثروة لا بأس بها من علمه .

بعد انتهاء عقده مع السيرك عاد فيدور إلى موطنه , كان الآن شابا في منتصف العشرينات , وبقامة تناهز ٢,٧٠ متر . وحال عودته اشترى أرضا وشيد منزلا كبيرا يتلاءم مع احتياجاته كعملاق , ثم راح يبحث بلا هوادة عن عروس ترضى بالزواج من عملاق مثله , وبعد بحث طويل عثر على ضالته في معلمة تعمل في بلدة نائية , كانت عروسه طويلة القامة بالنسبة لامرأة لكنها مع ذلك كانت اقصر من عريسها بقرابة المتر , وقد أثمر زواجهما عن ابنة وثلاثة أولاد كلهم كانوا بقامة طبيعية .

كلما احتاج فيدور إلى المال كان يقوم بجولات في أنحاء الإمبراطورية الروسية , يستعرض قامته الفارعة في المهرجانات وعروض السيرك والحفلات الخاصة للنبلاء , وكانت قد بلغ الآن درجة من الشهرة بحيث راحت الصحف الروسية والأجنبية تكتب عنه , وكانوا قد أطلقوا عليه أسم "العملاق الروسي" , وبدأ يتلقى عروضا للقيام في جولات في أرجاء العالم , فزار انجلترا وألمانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا وايطاليا والولايات المتحدة .

في ألمانيا تناول فيدور العشاء مع المستشار الألماني , وفي ايطاليا قابله البابا شخصيا وأهدى لأبنته صليبا من الذهب , وفي أمريكا قابله الرئيس روزفلت شخصيا .

ومن غرائب ما نشرته صحف تلك الأيام عن فيدور كانت التفاصيل المتعلقة بطعامه , فكل صباح يتكون فطوره من ٢٠ بيضة وثمانية أرغفة

كبيرة من الخبز ولترين من الشاي , أما وجبة الغداء فتتكون من ٢,٥ كغم من اللحم مع ١ كغم من البطاطا وثلاث لترات من الجعة , في حين تتكون وجبة العشاء من وعاء كبير من الفواكه مع ٢,٥ كغم من اللحم وثلاثة أرغفة كبيرة من الخبر ولترين من الشاي , وقبل أن يذهب إلى سريره لينام كان يتناول ١٥ بيضة مع رغيف خبز كبير ولتر واحد من الشاي أو الحليب.

السفر الطويل والمستمر بدأ يؤثر بالتدريج على صحة فيدور , كان يعاني كثيرا من الجلوس الطويل في مقاعد وأسرة صغيرة داخل القطارات والسيارات والسفن والفنادق , وأثر ذلك على حركته فأصبح يعاني من صعوبة في المشي وراح يستعمل عصا للوقوف , وفي أواخر حياته أصيب بحالة نفسية حيث أصبح يشعر بالخوف على حياته , كانت العديد من المتاحف والمؤسسات العلمية قد اتصلت به وطلبت منه أن يتبرع بجسده إليها بعد موته , وقد أرعبه ذلك , وظن بأنه قد يتعرض للقتل .

في عام ١٩١٢ مات العملاق فيديور ماخنوف في سن الرابعة والثلاثين , السبب الرسمي لموته هو أصابته بالسل , لكن هناك إشاعات تزعم أنه تعرض للتسميم لغرض سرقة جسده أو من قبل عروض سيرك منافسة .

عند موته كان فيدور قد بلغ طول ٢,٨٢ متر . أي أنه أطول من الأمريكي روبرت والدو بعشرة سنتمترات , لكن بسبب عدم توثيق طوله بصورة رسمية فقد أصبح لقب أطول رجل في العالم من نصيب والدو .

أطول الأحياء من الرجال والنساء ؟

حاليا فأن لقب أطول رجل في العالم هو من نصيب التركي سلطان كوسين بطول ٢,٥١ متر . وهو مولود عام ١٩٨٢ لعائلة بسيطة تتكون من الوالدين وأربعة أولاد وبنات كلهم بقامة عادية . في الحقيقة فأن كوسين يتشارك مع غيره من العمالقة في سبب طوله الفارع , وهو خلل في إفرازات الغدة النخامية , وهذا الخلل حدث لديه نتيجة أصابته بورم سرطاني . ومثل غيره من العمالقة فأن كوسين يعاني من صعوبة في المشي وعدم إحساسه بقدميه , وهو يستعمل عصا للوقوف .

الجيد في حالة سلطان هو أن الأطباء في كلية الطب بجامعة فيرجينيا بأمريكا نجحوا في إيقاف نموه وسيطروا على إفرازات غدته النخامية بعد عامين من العلاج . وقد تزوج سلطان مؤخرا من شابة سورية تدعى مروة ديبو وهي بطول ١,٧٥ متر .

بالنسبة للنساء فهناك جدل حول من هي أطول امرأة في العالم حاليا , بحسب بعض المواقع فأن الصينية سن فانغ هي من تحمل اللقب بطول ٢,٢١ متر . وبحسب مواقع أخرى فأن الهندية صديقه بروين هي حاملة اللقب بقامة يبلغ طولها ٢,٣٣ متر , أما أطول امرأة في العالم في فئة الشباب , بحسب موسوعة جينيس , فهي التركية رميسا جيلجي ذات السبعة عشر عاما . أما أطول امرأة على الإطلاق عاشت على الأرض في العصر الحديث فهي الصينية زنك جنليان بطول ٢,٤٨ متر , وهي للعلم المرأة الوحيدة التي حملت لقب أطول إنسان في العالم متفوقة بذلك على

الرجال . ومثل غيرها من العمالقة فقد عانت كثيرا بسبب طولها ووزنها وماتت في سن مبكرة جدا .

ختاما ..

بعد كتابتي لهذه القصص لم يعد أسم العملاق مرادفا للقوة والغرور في نظري , بل أصبح يستدر العطف والشفقة , فعلى ما يبدو , ومن خلال ما قرأت , فأن حياة أولئك العمالقة لم تكن سعيدة أبدا , كانت تضيق بهم الأماكن فلا يستطيعون نوما ولا جلوسا , وتضيق بهم أقدامهم فلا يستطيعون مشيا ولا وقوفا , وتضيق بهم قلوبهم فلا يجدون شريكا ولا حبيبا , وتضيق بهم أجسادهم فتطالهم الأمراض سريعا ويموتون مبكرا .. أظن أن الإنسان ليس بحاجة لطول القامة لكي يكون عملاقا , جميعنا نستطيع أن نغدو عمالقة , بأفعالنا وتصرفاتنا وأخلاقنا .. ولعمري فأن هناك من قصار القامة , من الزعماء والعلماء والأتقياء , من يطاول السحاب بهامته ويسمو فوق جميع العمالقة .

لغز المستذئب

المستذئب هو إنسان لديه القدرة على التحول إلى ذئب خلال الليل ومن ثم العودة إلى شكله الآدمي عند طلوع الفجر. وتعد شخصية المستذئب من أقدم وأشهر شخصيات الرعب الخرافية التي ظهرت في أوربا القرون الوسطى، لا يبزها في الشهرة سوى شخصية مصاص الدماء.

وبالنسبة لمعظم الناس في عصرنا الحالي يعتبر المستذئب مجرد شخصية خرافية لا وجود لها في عالم الواقع، لكنهم للأسف مخطئين، فعبر العصور ظهر العديد من الأشخاص المستذئبين، عاشوا بين الناس وتزوجوا وتركوا ورائهم ذرية. ففي القرن السادس عشر الميلادي ظهر رجل يدعى بيدرو جونزالز الذي كان يلقب بـــ "الرجل القادم من الغابة". وقد ذاع صيته وأشتهر بسبب وجهه وجسده المغطى بالشعر الكثيف فأصبح إحدى عجائب عصره وتسابق ملوك وملكات أوربا في إحضاره إلى بلاطهم من أجل رؤيته عن كثب. وقد تزوج بيدرو لاحقا من امرأة طبيعية وأنجبت له عدة أطفال بعضهم كانوا مثله.

وفي القرن التاسع عشر ظهر شخص آخر يدعى ستيفان بيبرويسكي. أبصر النور في بولندا عام ١٨٩١، وقد ولدته أمه وهو مغطى بشعر كثيف وطويل، ففزعت منه وكادت أن ترميه في الشارع. ثم زعمت الأم لاحقا بأن طفلها أتى إلى الدنيا بهذا الشكل بسبب ضربة قوية سددها أسد غاضب لوالده قبل عدة أشهر. وقد أقنعت هذه الحجة الساذجة الكثير من الناس فأطلقوا على ستيفان لاحقا أسم "الرجل الأسد".

والدة ستيفان كما قلنا لم تكن سعيدة أبدا بطفلها المسخ، كان وصمة عار بالنسبة لها، فبعض الناس الجهلة في ذلك الزمان ظنوا بأن طفلها المشوه هو نتيجة لممارسة جنسية شاذة جمعت بينها وبين حيوان ما. ولهذا السبب لم تمانع الأم أطلاقا حين عرض عليها رجل ألماني يدعى ماير أن يأخذ الطفل منها ويتبناه حين كان في الرابعة من عمره.

ماير أصطحب الطفل معه إلى ألمانيا، اعتنى به وقدم له الرعاية والتعليم. ومع كل عام يمر كان شعر ستيفان يزداد طولا حتى وصل إلى قرابة العشرين سنتمترا وكان يغطي جسده بالكامل باستثناء راحة اليد وباطن القدم. وبسبب هذا الشكل الغريب أكتسب ستيفان شهرة واسعة في كافة أرجاء أوربا، وسافر إلى أمريكا وعمل لعدة سنوات في السيرك. وبالرغم من مظهره المخيف إلا أن ستيفان كان رجلا مهذبا لطيفا يجيد التكلم بخمسة لغات ويبدي اهتماما بالغا بنظافته وأناقته. ومن المؤسف أنه مات في سن باكرة بعد تعرضه لأزمة قلبية في برلين عام ١٩٣٢.

الإستذئاب والشعر الكثيف لم يقتصر على الرجال، فالمكسيكية جوليا باسترانا ولدت عام ١٨٣٤ بشعر كثيف يغطي أغلب أجزاء جسدها، ومثلما حدث مع والدة ستيفان فأن والدة جوليا أيضا اتهمت بممارسة الجنس مع الحيوان. فقال بعض الناس بأن جوليا هي نتاج زاوج شاذ بين الأم وقرد، وزعم آخرون بأن والد الفتاة الحقيقي هو دب، ولهذا أطلقوا على جوليا أسم "المرأة الدب".

خلال حياتها حظيت جوليا بشهرة واسعة بسبب ملامحها المخيفة والشعر الذي يغطي وجهها فطافت العالم بصحبة رجل يعمل في السيرك يدعى ثيودور لينت، وقد تزوج الاثنان لاحقا ثم أنجبت جوليا طفلا يشبهها في موسكو عام ١٨٦٠، بيد أن الطفل ماتت بعد الولادة مباشرة، ولحقت به جوليا بعد خمسة أيام فقط بسبب مضاعفات الولادة.

زوج جوليا لم يقم دفنها، فقد أراد الاستفادة منها ماليا قدر الإمكان، لذلك قام بتحنيطها مع طفلها الميت ووضع جثتيهما داخل قفص زجاجي أخذ يدور به ويعرضه في أرجاء أوربا مقابل المال. ثم عثر على امرأة أخرى لها نفس مواصفات زوجته الراحلة فتزوجها وأطلق عليها أسم زيرونا باسترانا وراح يتربح من وراءها كما فعل مع زوجته الأولى. لكن المال لم ينفعه في النهاية حيث فقد عقله مبكرا ودخل إلى إحدى المصحات العقلية في موسكو ومات هناك عام ١٨٨٤.

هل هؤلاء مستذئبين حقا؟

لا طبعا .. هؤلاء الأشخاص الذين ذكرناهم أنفا لم يكونوا مستذئبين، ربما بالشكل هم أقرب إلى المستذئبين، لكنهم طبيعتهم كانت آدمية، فهم لا يتحولون إلى وحوش بعد منتصف الليل ثم يعودون بشرا خلال النهار، وهم لم يكونوا قتلة ولم يلتهموا لحوم البشر. بل كانوا أشخاصا في غاية اللطف والذكاء، لكنهم كانوا يعانون من خلل جيني وراثي نادر يتسبب في مرض يدعى فرط الشعر الخلقي (Hypertrichosis)، ويسمى أيضا بمتلازمة الرجل الذئب. ويؤدي هذا المرض إلى نمو كثيف وسريع للشعر في أجزاء

من الجسد لا يفترض أن يغطيها الشعر في الحالات الطبيعية. ولهذا المرض نوعان، الأول ينتشر خلاله الشعر في كامل أجزاء الجسد، أما الثاني فيكون الخلل مقصورا على أجزاء محددة من الجسد. ولا يشترط ظهور المرض بعد الولادة مباشرة، فقد لا يحدث نمو الشعر المفرط إلا بعد سنوات على ولادة المصاب.

متلازمة الرجل الذئب هي حالة نادرة جدا، لم تسجل سوى خمسين حالة خلال الخمسمائة عام المنصرمة. لكن برغم ندرتها فهي تحدث .. وحدثت منذ القدم، وليس بعيدا أن تكون خرافة المستذئب أو الرجل الذئب مأخوذة عن هذه الحالة المرضية، فالمصابون بهذا المرض في العصور الوسطى لم يكونوا حتما يستطيعون التكيف مع المجتمعات البدائية المتخلفة والمؤمنة بالخرافات آنذاك، ربما خافوا من أن يعتبرهم الناس مسوخا أو وحوشا أو شياطين شريرة فيقتلوهم بسبب ذلك، ولهذا هربوا إلى الجبال والغابات وانقطعوا عن العالم في تلك الأماكن النائية. وكان الناس يلمحونهم صدفة من حين لآخر فيرتعبون من أشكالهم المخيفة، وهكذا نشأت وظهرت خرافة المستذئب.

في عصرنا الحالي تعتبر الطفلة التايلندية سيوباترا ساسيوفان (١١ عام) المصابة بمتلازمة الرجل الذئب هي الأشهر عالميا وهي تحمل الرقم القياسي في موسوعة جينيس للأرقام القياسية تحت أسم الطفلة الأكثر شعرا في العالم. وبالرغم من شكلها المخيف إلا أنها طفلة في غاية الذكاء والروعة يحبها أصدقاءها في المدرسة ويعشقها والديها اللذان يأملان أن يتمكن العلم من إيجاد علاج لحالتها النادرة في يوم من الأيام.

أخيرا .. هناك الكثير من الناس يشكون ويتذمرون لوجود بضعة شعيرات ناتئة على ذقونهم أو أنوفهم .. الخ .. وأنا أدعوا هؤلاء لمشاهدة الصور المرفقة مع المقال لكي يعرفوا قيمة النعمة التي هم فيها ويشكروا الله كثيرا عليها.

لغز الفارس مقطوع الرأس

"سليبي هالو" هي بلدة صغيرة وادعة تقع بالقرب من مدينة نيويورك حدثت فيها مجموعة من جرائم القتل الغامضة التي عكرت صفوها ونشرت الذعر بين سكانها الآمنين عام ١٧٩٩، فقامت السلطات في مدينة نيويورك بإرسال المحقق ايكابود كرين من أجل فك لغز هذه الجرائم المروعة، وهو محقق شاب في الرابعة والعشرين من عمره يعتمد المنهج العلمي في عمله ولا يؤمن بالخرافات التي كانت سائدة في عصره، وقد أثار وصوله فضول بعض سكان البلدة، وسخرية وتهكم البعض الآخر، بسبب أساليبه وأدواته الغريبة التي كان يستخدمها في تحقيقاته وفي جمع الأدلة، كاستعماله للمساحيق الكيميائية وأخذ البصمات وتشريح الجثث، وهي أمور لم تكن مألوفة في ذلك الزمان.

وجهاء البلدة حدثوا المحقق الشاب عن قصة الفارس مقطوع الرأس، وهو من فرسان المرتزقة الألمان الذين قاتلوا خلال حرب الاستقلال الأمريكية، وكان سفاحا شرس بث الرعب في قلوب أعداءه لسنوات طويلة حتى تمكنوا أخيرا من قتله ودفنه في الغابة القريبة من البلدة عام ١٧٧٥، ولسبب ما فقد عاد شبحه بعد أكثر من عشرين عاما وشرع في مهاجمة السكان، قتل ثلاثة منهم بالطريقة ذاتها، قطع رؤوسهم بضربة واحدة من سيفه القاطع، ثم حمل الرؤوس معه واختفى.

المحقق كرين لم يصدق القصة، ظنها مجرد خرافة، لكنه ما لبث أن عدل عن رأيه حين قابل شبح الفارس الأسود بنفسه، شاهده بأم عينه وهو يقطع رأس أحد وجهاء المدينة، وقد تسبب هذا المنظر الرهيب بفقدانه لوعيه، وخلال غيبوبته طاردته كوابيس وأطياف الماضي، فتذكر طفولته وأمه التي جرى اتهامها بممارسة السحر ثم عذبت وقتلت بواسطة جهاز العذراء الحديدية.

بعد أن أسترد عافيته، قرر المحقق كرين التوجه نحو الغابة لإماطة اللثام عن سر الفارس الشبح، وقد رافقه في رحلته تلك فتى يتيم كان الشبح قد قتل والده. وهناك في الغابة ألتقي المحقق كرين بساحرة أخبرته بأن سر الشبح يقبع مع جثته تحت شجرة ضخمة تدعى "شجرة الموتى"، فمضى كرين والفتى بحثا عن تلك الشجرة، وانضمت إليهم كاترينا فان تازيل، ابنة أحد نبلاء البلدة التي نشأت بينها وبين المحقق علاقة حب. وسرعان ما عثر الثلاثة على الشجرة الدموية الكئيبة، فشرع المحقق كرين في نبش قبر الفارس الأسود المدفون جوارها، وحين أزاح التراب عن هيكله العظمي أكتشف بأن الجمجمة مفقودة، فأستنتج بأن شخص ما قد أخذها لكي يتحكم بشبح الفارس الأسود الذي سيستمر بحصد رؤوس ضحاياه حتى يستعيد رأسه المفقودة.

يكتشف المحقق كرين بأن السيدة فان تازيل، زوجة أب كاترينا، هي التي أخذت الجمجمة وسخرت قدرات الفارس الأسود من أجل قتل أناس معينين في البلدة بهدف الانتقام لعائلتها واستعادة أرثها المسلوب. لكن المحقق ينجح في النهاية من استرداد الجمجمة ويعيدها إلى الفارس الأسود

الذي ما أن يقوم بتركيب رأسه مجددا حتى يستدير بفرسه نحو شجرة الموتى ويقفز إلى داخلها مصطحبا معه السيدة فان تازيل الشريرة لتؤنس وحدته في العالم لآخر!.

القصة الأصلية

ايكابود كرين معلم طويل .. هزيل .. يؤمن بالخرافات بشدة .. ويتنافس مع شاب مشاكس وماكر يدعى بروم بونيز من أجل الفوز بيد الآنسة الحسناء كاترينا فان تازيل.

وفي إحدى ليالي الخريف الكئيبة والباردة، بعد مغادرته لحفل ساهر في منزل أسرة فان تازيل، يتعرض المعلم كرين إلى مطاردة عنيفة من قبل فارس مقطوع الرأس، وبحسب القصة، فأن ذلك الفارس الشبح فقد رأسه بطلقة مدفع خلال إحدى معارك حرب الاستقلال الأمريكية، لذلك هو يمضي كل ليلة إلى ساحة تلك المعركة بحثا عن رأسه المفقود.

المعلم كرين يختفي من البلدة فجأة بعد تلك المطاردة المخيفة، وباختفائه يتزوج بروم بونيز من الجميلة كاترينا فان تازيل. لكن القصة لا تخبرنا شيئا عن مصير المعلم، ولا عن حقيقة وسر الفارس مقطوع الرأس، لكنها تلمح ضمنا إلى أن بروم بونيز، الذي كان يعلم جيدا مدى إيمان ايكابود كرين بالخرافات، هو الذي دبر خدعة الفارس مقطوع الرأس من أجل إخافة كرين ودفعه إلى مغادرة البلدة.

أصل الأسطورة

قصة فلم "سليبي هالو" خيالية تماما، وبالمقابل فأن أسطورة الفارس مقطوع الرأس تعود في جذورها إلى التراث والفلكلور الأوربي، ففي المعتقدات الشعبية الايرلندية هناك خرافة قديمة عن فارس مقطوع الرأس يدعى دولاهن (Dullahan)، هذا الفارس الشبح يمتطي صهوة حصان أسود ويضع رأسه المقطوعة تحت يده، ولرأسه المقطوعة عينان صغيرتان تتحركان باستمرار وفم بشع يمتد إلى جانبي الرأس وبشرة غريبة تشبه في هيئتها وقوامها الجبن العتيق.

الدولاهن يمضي دون هوادة بين الحقول والقرى والبلدات، يمسك بيده سوطا طويلا مصنوعا من عظام وفقرات الموتى، لا يوقفه شيء، فجميع الأبواب بوجهه مشرعة، وجميع الأقفال تسقط أمامه من تلقاء نفسها. لكنه مثل أغلب المخلوقات الأسطورية لديه نقطة ضعف .. ونقطة خوف الدولاهن الوحيدة هي خوفه من الذهب، فحتى قطعة صغيرة من الذهب قد تجعله يولي هاربا.

الدولاهين هو نذير الموت لدى الايرلنديين، توقفه في مكان ما يعني بأن شخصا ما سيموت في تلك البقعة، وإذا توقف ونادى بأسم شخص ما، فأن ذلك الشخص ميت لا محالة في أقرب وقت. طبعا هذا لا يعني بأن الدولاهين هو الذي يقبض أرواح الناس .. لا .. لكنه يمتلك القدرة على التنبؤ بموعد الموت ويمكنه الإحساس بدنو اجل شخص ما.

أكثر ما يغيض الدولاهن هو أن ينظر إليه الناس، ومن يجرؤ منهم على فعل ذلك يعاقب بضربة نارية من سوط الدولاهن تقتلع عينيه من

محجريهما، أو قد يسكب عليه الدولاهن وعاءا من الدم، وهذه تكون دلالة على دنو أجله.

خرافة الدولاهين ما تزال شائعة بين الناس، فأحد القصاصين الأيرلنديين يتحدث عن تجربته مع الدولاهين قائلا :

"لقد رأيت الدولاهين بنفسي، توقف عند المساء على سفح تل بين براينزفورد ومونيسكالب، مباشرة بعد أن بدأت الشمس بالمغيب. كان بدون رأس، وهو يحمل رأسه المقطوع تحت يده، وسمعته ينادي أسما فوضعت يدي على أذني خشية أن ينادي أسمي. وحين نظرت إليه ثانية، كان قد اختفى. لكن بعد فترة قصيرة وقع حادث سيارة رهيب على نفس التل راح ضحيته شاب .. حتما كان هو الذي نادى الدولاهين على أسمه".

فهرس